التعريض في القصة القرآنية
دراسة تحليلية فنية

م.م. نور خالد محي الدين
الجامعة المستنصرية – كلية التربية

المقدمة :

الحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وتمام نعم أعطاها، كان من أبرزها القرآن الكريم وسيد المرسلين محمد 6 .

ولما كانت اللغة العربية هي لغة القرآن ، وعنوان هوية الإنسان العربي، فقد اجتهد علماء اللغة العربية بدراستها وتوضيحها وتبيان دقائقها خدمة للقرآن الكريم أولاً ، وخدمة لكل المسلمين ثانياً وعلى الأخص منهم غير العرب الذين كانوا يلحنون في الكلام ، ولذلك فقد طرقوا كل أبواب اللغة العربية، خدمة لذلك الهدف النبيل .

وقد جهد العلماء القدامى في هذا المنوال ، وما تقاصر عنه القدماء ، تقدم فيه الدارسين المحدثين ليسدوا ما وجدوا من ثغرات في الدراسات القديمة ويربطوها بالدراسات الحديثة والغربية ، فبينوا أن البلاغيين والنقاد والمفسرين كانوا أقدم خطى من علما الغرب في وضع أسس علم اللغة وقواعده النحوية والأسلوبية والإنسانية ، لذلك جاء هذا البحث لدراسة أسلوب التعريض في القصة القرآنية لبيان قدمه وعراقته في اللغة والأدب العربي، والتركيز على عناصر عملية التخاطب (التلقي) وبيان جذورها عند علماء العربية الأوائل ، وهذا الفن موجود بكثرة في القرآن الكريم وله مناسبات تستدعيها المواقف، فكان أسلوباً مناسباً لكل موقف لايمكن استبداله بغيره من الأساليب وذلك لأن أسلوب التعريض يتضح فيه مراعاة ملقي الرسالة للرسالة ومراعاته لمقام المبثوث إليه وبيئته الاجتماعية وخلفيته الثقافية ، فكان ملائماً لمتلقيه بحيث يضمن الملقي فهم الطرف الآخر (الملقى إليه النص) للرسالة (النص) .

هذا ما أراد البحث بيانه من دراسته هذه وأرجو أن أكون قد وفقت في تقديم جهد ينتفع به خدمة لكتاب الله وعله يكون حاضراً لجهود أخر تبحث في الجوانب التي قصر فيها البحث أو لم يتناولها لضيق المجال والتزامه بمنهج محدود يحده نمط

البحث المقدم ، فهو بحث متواضع ليس برسالة أو كتاب . وحسبي المحاولة وصفاء النية ، والحمد لله خاتمة قولي كما كان فاتحته .

التمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد البلغاء محمد ﷺ وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين .

إن هذا البحث محاولة جادة تنطلق من القرآن الكريم لسبر أغواره ، وأغوار البلاغة العربية وفنونها الدقيقة . والتي قد لا تتضح معالمها كما تتضح في القرآن الكريم . كتاب الله المعجز فهو خير معين لدارسي اللغة العربية .

– لقد انتبهت إلى قلة دارسين موضوع التعريض في اللغة العربية ، وعدم وضوح مسمياته واصطلاحه والخلط البين بينه وبين باقي علوم اللغة العربية خصوصاً عند البلاغيين الأوائل وهذا ما أوضحه ابن الأثير في كتابه المثل السائر. فهم يخلطونه بالكناية والتورية والإيحاء والرمز والتلويح والحقيقة والمجاز

– بينما وجدت هذا العلم مفصلاً عند الفقهاء والمفسرين والصحابة الأوائل. فأستقيت منهم هذه المادة ، ودرستها في القرآن الكريم الذي يحوي كل فنون اللغة والأدب ، إلا أنه يحتاج لنظر ثاقب وتأني لمعرفة خواص كل لفظة في كل آية وفي كل سياق وتركيب وأختياري لهذا الموضوع عائد أساساً إلى سببين :

أولهما : حبي الكبير لكتاب الله العزيز منذ صغري .

– وثانيهما : إيماني بأن التخصص في علم البلاغة العربية يجب أن يتعمق في رحاب القرآن . خصوصاً إذا كان القرآن المورد الوحيد لدراسة هذا الفن (التعريض) فبالقرآن تتكشف حقائق علوم البلاغة وتتجلي فهو معجزة اللغة العربية ومقياسها الأمثل الذي يحتذى به على مر العصور .

ومن أجل ذلك انعقدت النية على أن تكون دراستي فيما يتعلق بالقرآن ، ووقع الاختيار على موضوع (التعريض) تحديداً لقلة دارسيه وعدم وضوح معالمه، وهذا ما لاحظته أثناء تدريسي لمادة البلاغة في المرحلة الثالثة قسم علوم القرآن فوجدت خلط كبير وواضح في تحديد ملامح هذا الفن في كتاب البلاغة والتطبيق للدكتور أحمد مطلوب وكامل حسن البصير وقد وجدت ضالتي عند الفقهاء والمفسرين . وعلى ذلك

كـان تحليلـي لنصـوص القرآن علـى وفـق منظـور الدلالـة المعنويـة لكـل أيـة ضـمن السياق الذي ترد فيه وتركيبها الخاص .

– وقد كـان اختيـاري لنصـوص التعريض من القصـة القرآنيـة ، لوضـوحها ، وسـلامة سردها ، ولضيق الوقت على أن التعريض موجود بكثرة في القرآن الكريم وهو بحاجة إلى دراسة مستفيضة للتنقيب عنها والله ولي التوفيق .

التعريض لغة : (خلاف التصريح ، وجعل الشيء عريضاً ، وأن يصير ذا عارضة في الكلام ، وأن يثبج الكاتب ولا يبين)[١] .

والتعريض : (كلام له وجهان من صدق وكذب أو ظاهر وباطن) [٢] . والمعاريض جمع معراض ومنه التعريض .

اصطلاحاً : أن يطلق الكلام . ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق ومن ظرف القول والمقام .

والتعريض أن تقول للمؤذي: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده تعريضاً بنفي صفة الإسلام عن المؤذي .

نجد أن البلاغيين وقعوا في لبس فلم يميزوا التعريض وإنما خلط الكثير منهم التعريض بالكناية والرمز والإيحاء والتلويح والتورية .

ومن أوائل الذين خلطوا بين الكناية والتعريض أبو عبيدة[٣]: (فقد عرف الكناية بأنها كل ما يفهم من الكلام ومن السياق من غير أن يذكر اسمه صريحاً في العبارة) .

وأشار الجاحظ [٤] إلى الكناية والتعريض وذكر (أنهما لايعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف) ، وكذلك ذكرهما ابن المعتز [٥] في كتابه البديع ، وعدهما (من محاسن الكلام) ، أما المبرد [٦] فرأى أنهما من الكلام ما يكنى عنه بغيره ، أما

---

[١] القاموس المحيط للفيروز آبادي : ج١/ ٨٣٤ .

[٢] مفردات ألفاظ القرآن ، الأصفهاني : ج١/٣٣١ .

[٣] مجاز القرآن ، أبو عبيدة : ج١/١٥٥ .

[٤] البيان والتبيين ، للجاحظ ، ج١/١١٧ .

[٥] البديع ، عبد الله بن المعتز: ٤٦٠.

[٦] الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد : ج٣/٢٩٠ .

أبو هلال العسكري فقد اختلط المصطلحان عنده في كتابه الصناعتين[١]، وأما ابن رشيق القيرواني فعدهما نوعاً واحداً وهما من أنواع الإشارة [٢].

يقول الزمخشري[٣]: ((الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك طويل النجاد ؛ لطول القامة وكثير الرماد للمضياف . والتعريض : أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه : جئت لأسلم عليك ، ولأنظر إلى وجهك الكريم ، ولذلك قالوا : وحسبك بالتسليم مني تقاضيا . وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ، ويسمى التلويح ؛ لأنه يلوح منه ما يريده)) .

إذا هو يرى أن المعنى التعريضي غير مذكور لا بلفظه الموضوع له ولا بغيره وهذا معنى قوله أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم نذكره . أما الكناية فيذكر المعنى في الكلام بغير اللفظ الموضوع له .

وفّرق السكاكي بين الكناية والتعريض ، وجعل التعريض جزءاً من الكناية وطريقة من طرقها بقوله[٤]: (متى كانت الكناية عرضية كان اطلاق اسم التعريض عليها مناسباً) .

لقد وقع اضطراب في فهمه فهو يجعله صورة من الكناية ، وأحياناً يفصله، صحيح أن التعريض كالكناية في كونه لا يراد به معناه الذي يدل عليه ظاهره ، وإنما يراد به معنى آخر يرتبط باللفظ الظاهر ويلازمه ، إلا أن هناك بون في التلازم بين المعنيين في الكناية والتعريض . فلازم الكناية يقوم على أساس العرف والعادة ، ولا يحدد بمقام أو سياق محدد ، أما التعريض فيكون التلازم بين المعنيين مرتبط بالمقام والسياق الذي يرد فيه [٥] .

ومثال التعريض قول المتنبي :

---

[١] ينظر: كتاب الصناعتين : ٣٦٨ .

[٢] ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ج١/٣١٢ .

[٣] الكشاف للزمخشري : ١/ ٢٨٢- ١/ ٢٨٣ .

[٤] مفتاح العلوم للسّكاكي : ١٩٤ .

[٥] ينظر: التعبير البياني ، شفيع السيد : ١٥١ .

أعيـــذها نظـــرات منـــك صـــادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم[١]

فالشاعر يرجو سيف الدولة أن ينظر إلى الأمور على حقيقتها فلا يخدع لظواهر الأمور . هذا هو الظاهر الذي يدل عليه البيت ولكن المتنبي كان يومئ إلى غرض آخر لم يصرح به ، وهو التعريض بسيف الدولة فإنه لا يحسن تمييز الأمور ، ولا يفرق بين المظهر والجوهر، ومثله قول المتنبي أيضاً :

إذ الجود لم يُرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا [٢]

فظاهر معنى البيت أن الشاعر قصد من يفسد كرمه بالأذى يلحقه بمن يجود عليهم فيذهب الأثر الطيب للفعل فلا يكسب حمد الناس ولا يبقي ماله ، ولكن الشاعر قصد غرضاً آخر هو التعريض بسيف الدولة ، وذلك فإنه ينفق ماله في العطاء ولكنه يلحق هذا العطاء بالإساءة إلى من خصهم بالعطاء ، فكأنه أتلف ماله دون أن يكسب ما يقابله منه مدح الناس له ورضاهم عنه [٣] .

ومن الذين وقفوا في اضطراب في فهمه ابن سنان الخفاجي فينقل لنا ابن الأثير رأيه في بيت امرئ القيس :

فصـــرنا إلـــى الحســـنى ورق كلامُنـــا ورُضـــت فـــذلت صـــعبة أي إذلالُ [٤]

(فالبيت كناية عن المباضعة) [٥] ، في نظره والحق أنه تعريض بالجماع؛ لأنه قال: صرنا إلى الحسنى وتحولنا إلى كل ما نحب من الأمور التي تروي ضمأناً، ورق كلامنا وعذب، ولينتها بالكلام الدافئ حتى ذلت أي إذلال .

---

[١] ديوان أبو الطيب المتنبي ، شرح أبي البقاء العبكري ، ضبط كمال طالب ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط١، ١٩٧٧ ، مج٣: ٣٨٧ .

[٢] المصدر نفسه مج ٤: ٢٨٨ .

[٣] البلاغة العربية – البيان والبديع ، لطلبة قسم اللغة العربية ، طالب محمد الزوبعي ، وناصر حلاوي ، دار النهضة العربية ، بيروت، ط١، ١٩٦٦ : ١٢٠ .

[٤] شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، أحمد بن الأمين الشنقيطي: ٨٣ .

[٥] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ٤٩/٣ .

فالعشيقين إذا وصلا إلى هذه الصورة حققا ما يصبوان إليه ، وإذا ما نظرنا إلى قوله تعالى : ﴿ ***أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً*** ﴾ سورة المؤمنون: ١١٥ ، نفهم إنها تعريض بالكافرين في إنكارهم للبعث والمعاد الأخروي فورد على سبيل الاستفهام الإنكاري الموحي بالتعريض وقصر نظر الكافرين، وسفاهتهم كما يوحى به جو النص القرآني ؛ لأن التعريض مفهوم من جهة القرينة والسياق لا من جهة اللفظ [١] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ***إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ*** ﴾ سورة الأنعام: ٣٦، فالذين يستجيبون لدعوة الله هم الذين يعقلون ويفقهون

لقد أثار موضوع التعريض حركة نقدية وأستفهامية بعد تفسير المفسرين لقوله تعالى : **﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء﴾** (البقرة:٢٣٥)

قال ابن جرير الطبري [٢] في أسلوب التعريض : (وأما التعريض فهو ما كان من لحن القول ، الذي يفهم به السامع الفَهم ما يفهم بصريحه) .

ومقولته هذه ناتجة عن آراء الصحابة حول قوله تعالى :**﴿عَرَّضْتُمْ﴾** في الآية الكريمة . فعن ابن عباس –ﷺ– قال (التعريض أن يقول : إني أريد التزويج، وإني لأحب امرأة من امرها ، وامرها ، يعرض لها بالقول المعروف ... التعريض ما لم ينصب للخطبة) .. والتعريض أن يقول للمرأة في عدتها (إنك لجميلة ، وإنك لنافقة وإنك إلى خير) [٣] هذا ما نقله الطبري عن مجاهد في قوله تعالى في سورة البقرة .

عن سعيد بن جبير قال[٤]: (هو قول الرجل : إني أريد أن أتزوج وإني أن تزوجت أحسنت إلى امرأتي ، هذا التعريض) .

وهناك آراء كثيرة تدل على نفس المعنى أوردها ابن الطبري كلها تنص على عدم البوح بالخطبة صراحة ، وإنما تدل عليها دلالة تعريضية فيها أحساس من

---

[١] البلاغة التطبيقية– دراسة تحليلية لعلم البيان ، محمد رمضان : ٣١٢.

[٢] جامع البيان : ٢/ ٣٢٠ .

[٣] المصدر نفسه : ٢/ ٣٢١ .

[٤] المصدر نفسه : ٢/ ٣٢١ .

المقابل بالأمر ، دليل ذلك أنه لا يصلح أن تعطي المرأة المعتدة وعداً بالزواج من الذي عرّض لها بالخطبة . قال الشعبي [1] : (لا يأخذ من ميثاقها إلا تنكح غيره) .

وفي هذا الصدد ينقل لنا ابن جرير الطبري قصة سكينة ابنة حنظلة بن عبد الله بن حنظلة قالت : [2] (دخل عليّ أبو جعفر محمد بن علي ، وأنا في عدتي ، فقال : يا أبنة حنظلة ، أنا من علمت قرابتي من رسول الله ﷺ وحق جدي علي ،وقدمي في الاسلام ، فقلت غفر الله لك يا أبا جعفر أتخطبني وأنا في عدتي ، وأنت يؤخذ عنك .. فقال : أو قد فعلت ؟ إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله ﷺ وموضعي ، وقد دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة، فتوفي عنها ، فلم يزل رسول الله ﷺ يذكر لها منزلته من الله ، وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده من شدة تحامله على يده ، فما كانت تلك خطبة) .

لقد اقتدى محمد بن علي برسول الله في تعريضه بالخطبة وذكر قربه من رسول الله ﷺ فقط ولم يصرح بالخطبة لكن المرأة فهمت من السياق العام للكلام والمقام بنيته في الخطبة فرفضة كلامه واستغربته ، مما أدى إلى أن يبرئ نفسه ويدافع عنها بأنه لم يصرح وإنما عرض اقتداء بالنبي الكريم . وهذا ما أباحه تعالى للمعتدة ولم يبح التصريح للفرق بين الأسلوبين فالخفاء أمر ضروري في التعريض ولكن هذا الخفاء يتفاوت في درجاته بين الوضوح والخفاء التام .

ويلعب السياق الدور الكبير في تحديد المعنى المقصود من غير ذكره . فالذي يبين المعنى المقصود قرائن السياق في النص .

ويعرف الرازي التعريض بقوله [3] : (أن تذكر كلاماً يحتمل مقصودك ويحتمل غير مقصودك ، إلا أن قرائن أحوالك تؤكد حمله على مقصودك) .

إن في قوله أن تذكر كلاماً يحتمل مقصودك ويحتمل غير مقصودك يقترب من مدلول فن (التورية) والتورية : أن يكون للفظة معنيان ، أما بالأشراك ، أو

---

[1] جامع البيان: ٢/ ٣٢١ .

[2] المصدر نفسه : ٢/ ٣٢٢ .

[3] التفسير الكبير / مفاتيح الغيب ، أبو بكر الرازي : ٢/ ٢٧٠ .

التواطؤ ، أو الحقيقة أو المجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية . فالمتكلم يريد المعنى البعيد ويوري عنه بالقريب ليتفادى أمراً ما [١] .

قال النيسابوري [٢] في التعريض : (وهو قسم من أقسام الكناية) .

ويقول عبد القاهر الجرجاني [٣] : (قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع من التصريح) .

لقد أغفل الجرجاني دور السياق وقرائن الأحوال التي تحيط بالنص فهو قد نظر إلى أبلغية المجاز من الحقيقة والتعريض من التصريح، وبهذا فقد جعل التعريض من أجزاء المجاز ، ولم ينظر إلى أن أبلغية كل أسلوب السياق والمقام الذي يحويه ، فاللوازم الحسية هي التي تجسد المعنى المطلوب ويبرز التعريض في القرآن الكريم بوصفه (اسلوباً مشرقاً من أساليب الأدب القرآني تدعو إليه لغته المهذبة تقويماً للخلق وصيانة للنفس الإنسانية من العبث والغيظ والإثارة المؤذية)[٤] . وإذا ما نظرنا إلى آيات الذكر الحكيم وحللناها وجدنا أهمية أسلوب التعريض وجماليته فبتغيره لا نصل إلى المعنى المراد بلطف وآمان وحجة .

ولنأخذ مثال على ذلك قول سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه بعد أن كسّر أصنامهم وأتهموه : **﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ*قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾** سورة الأنبياء: ٦٣ .

لقد أقام الحجة والبرهان عليهم ، وجعلهم يعودون إلى أنفسهم ويقروا بأن هذه الأصنام التي عجزت عن حماية نفسها لا تستحق العبادة ، فهي حتى لا تستطيع أخبارهم بمن فعل بها هذا ؟! أي الهة هذه التي حتى النطق لا تستطيع .

---

[١] ينظر: الايضاح للقزويني : ٣٥٣ .

[٢] غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ١٨٩ .

[٣] دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني : ١٠٩ .

[٤] أصول البيان العربي ، رؤية بلاغية معاصرة : ١١٩ .

لقد وصل الكفار إلى هذا المعنى عن طريق الفهم . فالتعريض لفظٌ دال على شيء من طريق المفهوم [١] .

أما السبكي فيرى أن التعريض يستعمل في معناه ودلالته للتلويح بغيره واستشهد بالآية السابقة (بل فعله كبيرهم هذا) فهو يرى أن أسلوب سيدنا إبراهيم تلويح لعقول الكفار بأن هذه الإلهة غير صالحة للعبادة . فهي عاجزة عن حماية نفسها [٢] .

لقد فرق التعريض عن الكناية ، فقد أدرك أن التعريض قائم على الدلالة الفهمية ، بينما تقوم الكناية على دلالة اللفظ ويعرف الكناية (بأنها لفظ استعمل في معناه مراد منه لازم المعنى فهي بحسب استعمال اللفظ في المعنى : حقيقة ، والتجوز : في إرادة ما لم يوضع له)[٣] .

ومنه قول المتنبي [٤] :

وذاك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود

إن المعنى العام للبيت هو عجز الفحول البيض عن المعروف وكذلك الخصية ، إلا أنه عرض بهذا البيت بكافور فكأنه يقول إذا كان سيف الدولة (الأمير الأبيض) عاجزاً عن المعروف، فكيف يكون كافور قادراً وهو عبد أسود خصي [٥] .

إن هذا الأسلوب ينبئ عن ذكاء حاد وحس رقيق وذوق ومقدرة فائقة بمواطن الإحساس، فهو ينال مبتغاه من طرف خفي .

ويقول ابن دريد[٦] في التعريض : (التعريض خلاف التصريح من القول، يقال يقال عرفت ذلك في معراض كلامه ومعرض كلامه بحذف الألف ، وهو مما يجوز

---

[١] ينظر: المثل السائر: ٣/ ٧٢ وينظر : البلاغة والتطبيق ، أحمد مطلوب وآخرون : ٣٧٤.

[٢] ينظر: الاتقان في علوم القرآن : ٣/ ١٦٤ .

[٣] ينظر: المصدر نفسه : ٣/ ١٦٤ .

[٤] ديوان أبو الطيب المتنبي ، مج٢: ٤٥ .

[٥] ينظر: علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع، مختار عطية: ٢١٢ .

[٦] الملاحن، أبي بكر محمد بن الحسن دريد الأزدي : ٦٧.

شرعاً. والتعريض كالتورية ، والكناية يتفقان في أن كلاً منها يراد به غير مقتضى الظاهر من الكلام. روى عنه عليه الصلاة والسلام إلا أن في المعاريض لمندوحة عن الكذب وروي عن عمر رضي الله عنه : أما في المعاريض ما يغني المسلم عن الكذب وروي عن ابن عباس رضي الله عنه : ما أحب بمعاريض الكلام حر النعم. وسمي التعريض تعريضاً لأن المعنى فيه يفهم من عرض الكلام أي من جانبه).

تحليل لأسلوب التعريض في القصة القرآنية :

نأخذ قوله تعالى : ﴿ ﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿ ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥ ﴾ (الانبياء : ٥١- ٦٧) .

إن هذه الأبيات المباركات تقص علينا قصة سيدنا إبراهيم ﵇ مع قومه . إذ استنكر فعل أبيه وقومه من عبادتهم لهذه الأصنام ، فحاول إفاقتهم من غفلتهم وعماهم من عبادة هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع واستخدم طريقة الحوار والجدال بالعقل والفكر لأثابتهم إلى رشدهم . ونص الشاهد القرآني أن الله تعالى أتى إبراهيم ﵇ رشده من قبل إذا فهو يتمتع بقدرة على الفهم والنقاش والمحاورة. فهو رسول رب العالمين .

لقد أنكر فعل أبيه وقومه من عبادة لهذه الأصنام . بقوله **﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾** . فأجابه قومه بالجواب التقليدي الأعمى **﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾** وأخبرهم ﵇ بضلالهم وآباؤهم إلا أنهم صدوا عنه وأتهموه باللعب – فساق لهم حجة على ربوبيته الله علهم يعقلون فوجه أنظارهم وعقولهم إلى من خلق السموات والأرض إلا أنهم أبوا أن يسمعوا ويعوا له : ويتمعنوا في خلق الله وآيات ربوبيته هناك خطرت له فكرة ، تجبرهم على التفكر والتعقل في أمر هذه الإلهة المزيفة .

فخطط لذلك ودبّر له . وانتظر يوم احتفالهم وتخلف عن الخروج معهم وادعى إنه سقيم . وحينما ذهب القوم هرع إلى معبدهم وقد فرغ منهم . فكسر الأصنام الصغيرة وترك الصنم الكبير وقد علق عليه الفأس .

وحينما عاد القوم فزعوا مما أصاب آلهتهم وأرادوا الانتقام ممن فعل هذا بهم ، ويا لغبائهم فلم يتعقلوا حينما رؤها مكسرة متناثرة مبعثرة ، وقد عجزت عن الدفاع عن نفسها وعجزت عن نطق اسم من فعل هذا بها ! ما أشد غبائهم . بل ما أشد عنادهم وإصرارهم على عبادتها وهم يصنعونها بأيديهم .

وسرعان ما تبادر إلى أذهانهم إبراهيم عليه السلام فطالما طعن بهذه الأصنام وسرعان ما أتو به . ويدلنا على ذلك استخدام النص لأداة الوصل (الفاء) والتي تفيد سرعة وقوع الأمر وتفضي بنا إلى المشهد الأساس والحاسم في القصة فإن سرعتهم هذه تصور لنا مدى استيائهم مما حصل وإصرارهم على معاقبة الفاعل علناً وأمام أعين الناس {فآتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون} .

جاءت اللحظة الحاسمة التي خطط لها سيدنا إبراهيم ودبّر لها وها هو ينتظر توجيه سؤالهم له . {ءأنت فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم} ؟

وهنا ينقض عليهم بالإجابة الحاسمة والرادعة {بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون} أنها لصدمة لعقولهم فقد نفى الفعل عن نفسهِ ونسبهِ إلى كبيرهم فطلب منهم سؤال الأصنام الصغيرة المكسرة لقد طلب شهادتها بقوة كأنها ستكون في صالحه . إن كانوا ينطقون .

هنا يتوقف المشهد للحظات ليفكر القوم بجوابه الغريب الذي لم يكونوا ينتظرون فسئوالهم محدد به هو فقط وهذا ما تفيده همزة الاستفهام ، فكان من المفترض أن يرد بـ (نعم، أنا فعلته) أو بـ (لا، لم أفعله) ولكن أن يأتي الجواب بالأداة (بل) والتي تفيد النفي والاستدراك ويجيبهم بأن كبيرهم هو من فعل ذلك وقد ترك الدليل عليه بتعليق الفأس في عنقه ما يدل ويصور على أنه هو الفاعل . وهنا رجع القوم إلى أنفسهم وأثار أسلوب سيدنا إبراهيم هذا (التعريض) التفكر والتصور والتعقل والتدبر في ما حصل فقد صحت عقولهم على نتيجة عدم إمكانية الصنم فعل ذلك فالصنم الكبير عاجز عن الحركة والحس والغيرة من هؤلاء الأصنام الصغار .

وأيضاً صحت عقولهم على عدم مقدرة الأصنام الصغيرة النطق فهي عاجزة عن ذلك . وهنا تأتي النتيجة الحاسمة فيعترف القوم على الملأ لسيدنا إبراهيم إنك تعلم بأن هؤلاء لا ينطقون يقولها القوم بصوت مبحوح لا يكاد يسمع وقد نكسوا رؤوسهم . لأنهم خسروا قضيتهم فهم يعترفون بعجز هذه الأصنام ونقصها . وهذا ما صوره الفعل (نكسوا) وقد أتت قبله أداة الوصل (ثم) والتي تفيد التمهل والتروي والتهوان في سرعة حصول الأمر . فهي تصور لنا طول الوقت الذي استغرقه القوم

في التفكر بمقولة سيدنا إبراهيم ، وأنهم قد وصلوا إلى النتيجة الصحيحة وقد أشرقت أنوار الحقيقة في عقولهم . حتى اعترفوا وأذعنوا بأن هذه الأصنام لا تنطق . ويا للسخرية من هذه العقول ومعبوداتهم ؟!

وهنا يأتي دور سيدنا إبراهيم في النصح والإرشاد والتوجيه فيقول بأسلوب الاستفهام الذي يعمل على إثارة الأسئلة في مخيلتهم وأذهانهم **﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ*أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ﴾** . ويكرر الاستفهام مرة أخرى وينهي حديثه به لعلهم يهتدون فيقول {أفلا تعقلون} ؟! .

بعد كل هذه الهزات لعقول الكفار . وبعد تيقنهم واعترافهم بعدم مقدرة هذه الأصنام على النفع والضر بأنها عاجزة . يصروا على عبادتها ّ؟ أي عقول هذه التي تأبى الحقيقة وتعشق الضلال ! .

بعد أن أوردنا قصة سيدنا إبراهيم ، نأتي لتحليل أسلوب التعريض في هذا النص ومعرفة وظيفته وأهميته وجماليته وهل كان يناسب هذا النص غيره من أساليب . هل كان سيعطينا النتيجة التي خرج بها القوم واعترافهم لأنفسهم بأن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر وأنهم ظالمون لأنفسهم بعبادتها . لقد وقف المفسرون في نقطة وتحرجوا منها وهي مقولة سيدنا إبراهيم {بل فعله كبيرهم هذا} فإذا ما أخذنا كلامه على محمل الحقيقة ، فهو غير صادق وكيف يصح لنبي معصوم أن يكذب وغاب عن نظرهم إن هذا أسلوب من أساليب القرآن الكريم والتي تكتنف في دواخلها على معانٍ غزيرة ، تفيد الإنتباه ولفت ذهن المتلقي إلى أمر مهم وضروري . ومن المفسرين الذين إلتفتوا إلى هذا الأسلوب الزمخشري ونورد مقولته في هذه الآية (هذا من معاريض الكلام ، ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الراضة من علماء المعاني . والقول فيه : إن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم .

وإنما قصد تقريره (الفعل) لنفسه ، واثباته لها ، على أسلوب تعريضي ، يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم . وهذا كما لو قال لك صاحبك ، وقد كتبت كتاباً بخط (رشيق، وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا ؟ وصاحبك أمي لا

يحسن الخط ولا يقدر إلا على خرمشة فاسدة . فقلت له : بل كتبته أنت !! كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك ، مع الاستهزاء به ، لا نفيه عنك وإثباته للأمي أو المخرمش ؛لأن إثباته – والأمر دائر بينكما – للعاجز منكما ، استهزاء به وإثبات للقادر)[1] .

لقد فهم الزمخشري من سياق التراكيب لتلك الآيات المباركات أن فحوى كلام إبراهيم عليه السلام هو الاستهزاء بعقول الكفار واصنامهم . لذلك لم ينشغل في بيان إذا كان الكلام على وجه الحقيقة أو المجاز أو الكناية .

فهو لم ينظر من وجهة الحقيقة إلى كلامه وعّده على سبيل المجاز ، (فهو إطلاق لفظ وإشارة الى معنى آخر يفهم من السياق إذن فهو معنى من المعاني يفهم من السياق وجو الكلام وعرضه، وإنما سمي تعريضاً ، لأنه يفهم من عرض الكلام، وجو الأسلوب ومن بين السطور) [2] ونستشف ذلك من المثال الذي ضربه لنا فسيدنا إبراهيم لم يكن يكذب حينما قال {بل فعل كبيرهم هذا} ولا يوجد في السياق ما يدل على ان كبيرهم هو الفاعل ، بل كل القرآئن والأدلة تشير إليه هو (إبراهيم) وهو متأكد من ذلك بدليل قوله تعالى : ﴿**سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ**﴾ فهو مشهور بعدائهِ لهذه الأصنام .

ولا يحتمل أنه خاف من قومه فأنكر فعله هذا ، وبإثباته إلى كبيرهم . للأسباب التي ذكرناها آنفاً . لقد تحرج المفسرون من تفسير {بل فعله كبيرهم هذا} وحملوه على عدة اوجه وكان ألطفها وأحسنها بلاغة حملها على مسلك التعريض وهذا رأي أبو السعود والرازي [3] .

---

[1] الكشاف، للزمخشري: ٢٨٢/١-٢٨٣ ، وينظر: البلاغة التطبيقية- دراسة تحليلية، محمد رمضان: ٣١٢.

[2] البلاغة التطبيقية – دراسة تحليلية، محمد رمضان الجربي: ٣١٢ .

[3] ينظر: تفسير أبو السعود ١٨٩/٣ ، وينظر: مفاتيح الغيب : ١١١/٦ .

(إن في المعاريض ما يغني المسلم عن الكذب ... وسمي العريض تعريضاً لأن المعنى فيه يفهم من عرض الكلام أي من جانبه)[1] .

إن الذي أعان على فهم النص بهذا الأسلوب البليغ والحكيم والموجز ، هو الدلالة التي تولدت من الصياغة مع طبيعة السياق في التراكيب . وأن لكل تركيب صياغة خاصة توجهه نحو وجه معينة تمنع التباسه بغيره من التراكيب [2] .

– ويحقق التعريض معنى الإهانة والسخرية والتبكيت ، حينما يوجه لغير المعني به ، فكما عمل التعريض في نص سيدنا إبراهيم عليه السلام ، حينما نسب فعل كسر الأصنام إلى صنع الكبير ، ثم توجيه السؤال إليهم مع عجزهم عن ذلك .

– فتوجيه السؤال لغير المعني به ، يؤدي لمعنى السخرية والإهانة والتقريع والتبكيت عن المعرض عنه الخطاب فهم لا يرتقون إلى منزلة تؤهلهم للصدق والشهادة فهم دون ذلك . ومنه قوله تعالى :**﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾** (المائدة:١١٦) .

– ان هذا النص يقص علينا مشهد من مشاهد يوم القيامة . في ساحة الحساب ، عند العرض عليه سبحانه وتعالى ، فيعرض عز وجل عن من أتخذ البشر آلهة من دون الله وأفترى عليهم (المسيح عليه السلام وأمهِ) فنسب إليهم ما لم يقولوا . فهم بفعلتهم هذه كذبوا على رسولهم وعلى الناس بقولهم أن المسيح وأمه آلهة مع الله . وبذلك ظلموا أنفسهم وأتباعهم بفعلتهم هذه ولأنهم كذبوا على الله ورسوله فهم لا يستحقون أن ينظر إليهم رب العالمين ويسألهم لسوء صنيعهم هذا فهم أحقر من أن يسألوا ويستجوبوا بعد ما كذبوا على الله ورسوله .

لذلك جاء السؤال لسيدنا عيسى عليه السلام بأستفهام انكاري أي أن الباري لا يستفهمه حقيقة وإنما على سبيل المجاز ليقرع المشركين ويسكتهم . فلا مصداقية لهم بعدما أفتروا بتلك الكذبات . وأيضاً عمل هذا العدول في الاستفهام إلى طمأنينة

---

[1] الملاحن ، لابن دريد : ٦٧ .

[2] ينظر: دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية ، سليمان الطراونة : ١٥١ .

سيدنا عيسى فهو المسؤول من قبل الله ، وما زالت ساحته بريئة من تهمهم ، فجعل منه هذا العدول شاهدا على قومهِ وليس العكس .

نستخلص من كل ذلك ، أن السؤال كان تعريضاً بالمشركين وليس سؤالاً لسيدنا عيسى عليه السلام .

– إن هذا العدول من الحقيقة إلى المجاز كان واضحاً من الدلالة السياقية ومقتضى المقام وهذه تؤدي إلى الانزياحات الفنية المقصودة والتي تتسق مع التركيب البنائي للنص .

وقد يأتي التعريض بمثابة هزة للمخاطب علّه يفيق من غيه ويعود عقله للرشاد وفطرة الله التي فطره عليها . كما في نص سيدنا لوط عليه السلام :**﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾** إن هذا النص يصور مشهد من قصة سيدنا لوط عليه السلام ، حينما جاءه رسل ربه على هيأة البشر ، فهرع قومه إليهم وقد بين القرآن الكريم أن قومه كانوا يأتون الرجال ، وبهذا فهم قد خالفوا طبيعة خلقهم وأتو بفاحشة لم يسبقهم أحدٌ في العالمين . لقد بدأ القرآن بسرد قصته في سورة الاعراف على غير منوال دعوات الرسل قبله في هذه السورة . حيث بدأ لوط عليه السلام دعوة قومه بإنكار ماهم عليه من المساوئ الخلقية داعيا إياهم إلى مكارم الأخلاق فأنكر عليهم أفعالهم الرذيلة أولاً ثم دعاهم إلى توحيد الخالق. **﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ*إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾** (الأعراف:٨٠– ٨١) (فهو ينكر عليهم فاحشتهم في جملة إنشائية مبنية على استفهام مشوب بالإنكار واللوم والتوبيخ ، مصحوباً بالتفصيل أو التفسير بعد الإيهام ، لتشويق نفوسهم إلى الاستماع إليه بالإيهام فإذا فسر تمكن الإنكار في نفوسهم لأنه جاء بعد تطلع وإلحاح {أتأتون الفاحشة} ، {انكم لتأتون الرجال شهوة دون النساء} وأشار إلى أن هذه الفاحشة من مبتدعاتهم {ما سبقكم بها من احد من العالمين} . ولتوقع حدوث انكار من القوم لتأصل الفاحشة فيهم وشدة استمرارهم لها ، أكد الكلام بأكثر من مؤكد {انكم لتأتون الرجال} وفي وصفه لهم في ذيل الآية {بل أنتم قوم مسرفون} بيان لمدى انغماسهم في هذه

الفاحشة الشنعاء ، وقد وصفهم بالاسراف الذي يعني وضع الشيء في غير موضعه ، لينسجم ذلك مع اتباعهم الرجال من دون النساء اللواتي خلقن لهذا الغرض) [١] .

ونعود للآية وموضع التعريض فيها ، وبعد أن رأينا سوء فعلهم وشدة قبحه تأكدنا من أنه عليه السلام لا يرغب أو يتمنى تزويج بناته لهؤلاء القوم . وإنما لم تكن لديه حيلة لردعهم عما يدور في ذهنهم ، وإفاقتهم من ظلمهم هذا لأنفسهم ولغيرهم، فهو لم يحتمل أن يصيب ضيفه أدنى أذى فعرض عليهم الطريقة الصحيحة والمثلى ، زواج الرجل من المرأة . (ففي الآية تعريض باستعداده عليه السلام أن يزوجهم بناته مقابل تراجعهم عما زعموا عليه ولم يصرح بذلك لأنه عرض هذا العرض ونفسه كارهة لخسة القوم وعدم كفاءتهم وربما قصد إلى إثارة الحياء فيهم ليرعوا عن غيهم) [٢] .

ويأتي التعريض لتنبيه الإنسان لسوء عمله، ونتيجته في الآخرة عن طريق تصوير مسألة في تلك الحياة، فيأتي التعريض وسط عرض مشاهد القيامة على الإنسان أن يتفكر ويتعض من سوء صنيعه هذا ويتوب إلى الله، وذلك من خلال سبّر النص لأغوار النفس الإنسانية عندما تعرض عليها أعمالها في ذلك اليوم المهول ، وفي أثناء عرض مشاهد الفزع والروع مما يعمل على دفع الإنسان إلى الخوف من نتيجة عمله ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾(التكوير : ١-١٤)

في أثناء سرد النص القرآني لمشاهد وأهوال يوم القيامة المخيفة والمفزعة، والتي عملت على شد انتباه المخاطب نجد النص يلتفت إلى من قتل ابنته الصغيرة إلى من وءدها ، وكأن قصدية النص من حشد هذه الصورة المفزعة والمروعة في مخيلة المتلقي كانت موظفة لهز مشاعر هذا القاتل (الأب) ليرى أثناء تخيله لتلك

---

[١] خطاب الأنبياء ، عبد الصمد عبد الله : ٥٦-٥٧ .

[٢] المصدر نفسه : ٢٨٠ .

المشاهد الكونية المفزعة صورة ابنته الصغيرة وهي تسأل بأي ذنب قتلت، فكأن النص أتى بكل هذه الصور ليوظفها في رسم صورة هذه الطفلة المقتولة على يد والدها فهناك ينتبه لفظاعة ما صنعت يداه، ويعود النص ليسرد بقية الأحداث قصد إفزاعه هذه المشاهد بأخباره بأنه محاسب على ما اقترفت يداه (علمت نفس ما أحضرت) إنه تعريض بهذا الإنسان القاتل ، عله يفزع ويتفكر فيما صنع ويتوب إلى بارئه منه .

إن هدف القرآن من تصوير تلك المواقف كان للتعريض بهذا الإنسان وقد فقد مشاعره الرقيقة التي أودعها الله فيه ، فعمل النص إلى الالتفات من مشاهد كونية إلى مشهد إنساني بحت، ومن ثم عاد النص بسرد بقية المشاهد الكونية، ثم عاد فالتفت إلى هذا الإنسان وخاطبه صريحاً بقوله (علمت نفس ما أحضرت) إن تلك الالتفاتة كانت لاستقطاب انتباه هذا الإنسان لتنحو به إلى ما تلقيه في العقل من معانٍ ، أنه الانتباه القسري ، فعندما يكون الذهن مختلطاً بسيل من الخواطر ، فإن الإنسان لايحدد انتباهه إلى جميعها ، بل ينتبه إلى ما يهمه منها وما يستجيب لحالته النفسية وهذا هو الانتباه القسري ، إذ يتم رغم إرادة الفرد، بما يثير لديه من ذكريات وأفكار تحصر انتباه لمدة طويلة .

وهكذا عمد النص القرآني لدفع انتباه الإنسان إلى ما يحدث له في ذلك اليوم أن استمر في غيه وظلمه فيرى ما يرى من أهوال ذلك اليوم الذي صوره القرآن بتلك المشاهد الكونية المرعبة، بقصد قسر الانتباه إلى ما يلقى من رسالة والعمل على تطهير الذات .

لقد كان لألفاظ تلك الآيات فعل مؤثر في بعث جو فيه هول وفزع ليكون إيقاع تلك الآيات صاخباً عاصفاً، وبهذا الإيقاع تم تجسيم حالة الاضطراب والهلع عند هذا القاتل .

لقد كان لإسلوب التعريض دور خفي في التقريع والتهكم بهذا الإنسان وبعاداته وتقاليده المغلوطة ، وأن الذي أعانه في البروز أسلوب الالتفات فهو آلية من آليات التصوير يسمح لها بالتشكيل وفقاً لمتطلبات السياق ، وقد تعانق التعريض

والالتفات لإثارة ملكات المتلقي الإبداعية لمتابعة هذه الانحرافات السياقية ؛ ليسهم في إثراء الدلالة الإيحائية للتراكيب من خلال مشاركة المتلقي بخياله ، عن طريق جذب انتباهه بانحراف مسموح به ويتضح لنا أن هذه الانتقالات في أسلوب النص القرآني إنما هي سُبل لمخاطبة ذهن الإنسان فينتقل النص من أسلوب إلى آخر للفت النظر إلى المعنى التعريضي من دون أي انقطاع يعرقل تماسك الصورة الذهنية وهذا الانسجام والتتابع في مضامين هذه الأساليب هو من أسرار الإعجاز البلاغي في النص القرآني .

يستخدم النص القرآني أساليب متعددة في وصول الرسالة إلى متلقيها ، وبناءاً على ذلك فالنص القرآني يراعي أحوال المتلقين (المخاطبين) وظروفهم الاجتماعية وفهمهم لجو النص (السورة) مع تاريخها وأحداثهم . ودرجة استجابتهم للرسالة الملقاة إليهم [١] فحسب فهم وذكاء القوم تندرج الأمثلة . ومن العجيب أن النص القرآني يلائم التقدم الحضاري في كل عصر . من حيث اعجازه البلاغي والعلمي . فتبين أن المتلقي (المخاطب) معني في كل زمان وعصر بالنص القرآني في بيان إعجازه العلمي وفك شفرات التوصل للنص بطريقة جديدة وحديثة والتي تتلائم مع خبرات المتلقي وتراكمه الثقافي والاجتماعي . فعطاء القرآن دائم التجدد . قال تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**(فصلت:٥٣) فالنصية (أداة ومتلقيها هو الإنسان الذي يتأمل الكون من حوله فيستخلص وجوه الحكمة الإلهية)[٢] . فإن للنص القرآني تأثير في النفوس وصنيع بالقلوب ، فإننا لا نسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص إلى القلب من اللذة والحلاوة بالحال [٣] .

ونستنتج من كلامنا هذا أن النص القرآني أولى اهتماماً ورعاية لمتلقي هذا النص في كل عصر . ونحن إذا ما أردنا تحليل نص معين لا بد لنا أن نعنى

---

[١] ينظر: البيان والتبيين ، للجاحظ : ١٣٦ ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ١٠-١١.

[٢] الرؤية البيانية عند الجاحظ ، إدريس بن مليح : ١٢١ .

[٣] ينظر: إعجاز القرآن للخطابي : ٦٤ .

بأطراف عملية التراسل (التواصل) من حيث ملقي الرسالة والرسالة والأداة ، والمرسل إليه (المتلقي) . وبإمكاننا تطبيق هذا الكلام على النص السابق ، فيظهر لنا جلياً أن سور القرآن الكريم أهتمت بالسياق المحيط بالنص وبالمتلقي فهو مفتاح النص وتماسكه الدلالي . إذن فمعرفة المتلقي ونفسيته وخلفيته الثقافية والإجتماعية تعيننا في فهم النص ، بل كانت أداة من أدوات تحليل النص (وهذا السّياق يدركه المتلقي لتكتمل كفايته وقدرته على فك شفرة النص وأبعاد الغموض عن الضمائر الكائنة فيه بمعرفة مرجعيتها ومن ثم دلالتها) [1]

وإذا ما نظرنا إلى النص القرآني ، رأيناه قد راعى أحوال المخاطب من ظروف محيطة بواقعه الثقافي والاجتماعي فخاطبهم بطريقة جعلتهم يقرون في أنفسهم بحقيقة هذا الكلام لأن أسلوبه الشيق دفعهم للتأمل والتدبر فيه قال تعالى : **﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ*قُلْ لا تُسْأَلونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**(سبأ:٢٤- ٢٥).

- إن هاتين الآيتان كانتا بمثابة درس يعلمه الخالق لمرسليه وعباده ، في كيفية التحاور والتجادل مع الكفرة ، فرب العزة لا يريد من الرسل الهجوم على الخصم وإفحامه بالحجة الدامغة وهذا ما يريده منا كذلك ﷺ حينما وصف المؤمن بأنه هين ولين إنه أسلوب حياة وليس أسلوب للجدال والحوار فقط علينا إذن أن نتمثل به لأنه سيحقق لنا ما حققته الآية الكريمة .

- فقد حقق هذا الأسلوب (التسوية) بين فريق المؤمنين والمشركين (الهدى والضلال) ، طابعاً نفسياً ، يدعو للتأمل والتفكر والتدبر ، فهو لم يفرض النتيجة المحتومة فرضاً ، وإنما دعا للتفكر إليها بطريقة لينة وسهلة ، وجاء النص بأمر الرسول (بتقريرهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بأن يتولى الإجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بأنهم مقرون به في قلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأن الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق

---

[1] علم اللغة النصي، صبحي إبراهيم الفقي : ٢١١/١ .

بالحق مع علمهم بصحتهِ ولانهم أن تفوهوا بأن الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق ..

– فكأنهم كانوا يقرون بألسنتهم مرة ومرة كانوا يتلثعمون عناداً وضراراً وحذاراً من ألزام الحجة ... وقوله تعالى **﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾** معناه أن أحد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من السموات والأرض بالعبادة ومن اللذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك وفي درجة بعدما تقدمه ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين . ولكن التعريض والتورية أفضل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحو قول الرجل لصاحبه علم الله الصادق مني ومنك ، وأن أحدنا لكاذب ومنه بيت حسان

أتهجـــوه ولســـت لـــه بكـــفء فشـــركما لخيركمـــا الفـــداءُ [1]

هذا أدخل في الأنصاف وأبلغ فيه من الأول حيث أسند الاجرام إلى المخاطب) [2] . (ففي رفضه حط مرتبة اتباعه الفقراء ونقصهم حقوقهم لكون ذلك ظلماً لهم، وهو يربأ بنفسه أن يكون في عداد الظالمين تعريض بأنهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وفي التعريض تجنب مواجهة القوم بما يكرهون مع تسجيل ذلك عليهم بطريقة التعريض) [3] . ونظير المثال السابق في تجنب الجدل العقيم والهجوم على الخصم ، بل أتباع الطريق اللينة والسهلة في الحوار من دون إثارة اللفظ والجدل العقيم . قوله تعالى نقلاً عن حكاية سيدنا نوح في سورة هود . قال تعالى : **﴿وَلا**

---

(1) ديوان حسان بن ثابت : ١٩٣ .

(2) الكشاف : ٥٦٢/٢ ، وينظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ، مصطفى الصاوي : ٢٤٩.

(3) خطاب الأنبياء : ٢٨١ .

أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (هود:٣١) .

– يحاول سيدنا نوح بتعريضه هذا ردّ شبهات قومه حول الذين أتبعوه من الفقراء والضعفاء . بطريقة لا يتهجم فيها على قومهِ ولا يعاديهم فهو لا يزال يأمل بأصلاحهم وتوجهم إلى الواحد الأحد فأستدعى رده أن يكون بأسلوب لين وسهل لا هجوم ولا تسفيه وإنما يوعيهم أن الله هو الذي يزكي النفوس وهو أعلم بهم (الفقراء) .

– وهو في الوقت نفسه لا يريد خسارة الطرف الآخر (المشركين) فالأسلوب السلس اللين ، أقرب إلى روح الدعوة وأقرب إلى نفوس البشر ، فعن طريقه تنفذ الدعوة إلى القلوب ، وتقيم الحجة على المشركين إن ابوا

ولنأخذ قوله تعالى في سورة الانبياء على لسان سيدنا أيوب عليه السلام قال :**﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** (الانبياء:٨٣) .

لقد فاض جو الحنان والهدوء في هذا المشهد ، والذي أوحى بوجود ألم نفسي يلم بصاحب هذا الصوت الرتيب الذي لا يكاد يسمع صوته ، إنه ينادي ويعترف بأن ضراً ما أصابه وإن من يخاطبه هو أرحم الراحمين .

ولكن ما غرضه من هذا القول وما فائدته ولما يشكوا لرب العالمين مصابه، أو لم يعلم أن الله يعلم بكل شيء وأنه هو الذي قدر له هذا الابتلاء ؟!

– لقد عرض سيدنا أيوب بكلامه لرب العالمين بحاجته لرفع الضر الذي أصابه ، وذلك من خلال ذكره الضر الذي أصابه من جهة ومن خلال ذكره لصفات رب العالمين المختصة بالرحمة والرأفة من جهة أخرى فهو (ألطف في السؤال ، حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة ، وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب) [1] . لقد مكنته هذه الوجهتان من سؤال رب العالمين فقد كونتا تعريضاً لمراده والذي منعه أدبه واستحيائه من ربه أن يسأله أو يطلب منه رفع البلاء الذي وقع به ، فهو نبي الله ، وهو قدوتنا في الصبر واحتمال البلاء وقوله (مسني) تدل على هوان ما

---

[1] الكشاف : ٣٣٥/٢ .

حل به وأنه لقادر على تحمله ولكنه يعلم أن ربه هو رحيم بعباده بصير بأمرهم . ونستدل على ذلك من البنية الصوتية الداخلية للفظة والتي نقصد بها (جرس اللفظة ووقعها في السمع الناشئ من تأليف الأصوات حروفها وحركاتها ، ومدى توافق هذا الايقاع مع دلالة اللفظة)[1] . فاللفظة تركيب بنائي ذات معنى مدرك ، ودلالة إيحائية جمالية .

لقد كان لأسلوب التعريض جمالية أوقع في النفس من الدعاء الصريح . فوصل إلى مبتغاه بالتعريض دون التصريح وكان جواب رب العزة والرحمة : **﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾** (الانبياء:٨٤) .

لقد جاء الجواب صريحاً ومباشراً بقوله (فاستجبنا له) وهذا ما يؤكد من أنه عليه السلام عرض بالدعاء . وقوله (رحمة من عندنا) لأن سيدنا أيوب ذكر أنه أرحم الراحمين .

– وقوله (وذكرى للعابدين) فهذه الرسالة ألتي يرسلها النص القرآني لعباده تعالى . بأن على العباد أن يتضرعوا إلى خالقهم بالدعاء والتوسل فدليل العبودية اللجوء إلى حماه تعالى والورود عليها وطلب مغفرته ورضوانه . فالدعاء قال تعالى : **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾**(غافر:٦٠) إنه نص صريح من الرب يأمرنا بالدعاء ، فبالدعاء تتحقق صورة من صور العبادة ألا وهي أفتقار العباد إلى قدرته تعالى ولجوئه لحماه المنيعة ، ومصداق هذا الكلام قوله تعالى **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾** .

– لقد قرن النص بين الدعاء والعبادة والاستكبار . فالدعاء يفضي إلى عدم الاستكبار عن العبادة ، دعاء ⟵ عبادة

عدم الدعاء ⟵ استكبار العبد ⟵ دخول جهنم .

---

[1] الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ٤١١ .

– لقد جاء دعاء سيدنا أيوب عليه السلام على أسلوب التعريض استحياء من رب العزة . فحرجه من مقام ربه منعه المجاهرة بالدعاء (الطلب) وهو العبد المقرب المحب لله تعالى .

– فمعرفة مقام المتلقي أمر ضروري فالمقام أساس الدلالة . وقد فطن له علماء اللغة العربية ونصبوا اهتمامهم في عملية التلقي على الحال . فالكلام بلا مقام يصبح مفردات لا تحكمها علائق لافتقادها المقام الذي يجمع بين عناصرها .

– إن الوظائف الجمالية في النص السابق من موسيقى هادئة وحروف غير متنافرة رخوة لينة وصورة حزينة هادئة أحالت كل ما نمسك به إلى علامة ... والعلامة دلت على واقع الحال ؛ فساعدت على فك الشفرة [1] لدى المتلقي .

فنفهم من الآية إنها دعاء لكنها جاءت بأسلوب تعريض مناسبة بين مقام الباث سيدنا أيوب ومناسبة لمقام المتلقي رب العزة [2] . ونظير كلامنا في مراعاة مقام المرسل إليه (المُخَاطَب) . واستحياء طلبه الأمر خوفاً منه مباشرة مراعاة لأحوال المقامات ، فيلجأ المتكلم إلى أسلوب التعريض ليفصح عما في ذهنه ونفسهِ.

وقد يأتي التعريض تعقيباً على دلائل قدرته تعالى وعظمته فتعد بذلك طريقة مؤثرة وموحية فهي تستثير السامع وتدفعه الى التفكر والتأمل في عظيم تلك الدلائل والبراهين ، قال تعالى : ﴿ ***هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ*** ﴾ (النحل: ١٠-١٣)

إن هذا الأسلوب يستثر في الإنسان مكامن إدراكه عن طريق التأمل فيما عرض له من صور وإن الفرق بين العاقل وغير العاقل هو التفكر .

---

[1] استقبال النصعند العرب ، محمد رضا مبارك : ٤٩ .

[2] ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي : ٧٣ .

ومن صور التعقيب الواردة على سبيل التعريض قوله تعالى : ﴿ ***إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ*** ﴾ (الرعد: ١٩).

في هذا الموضع لايراد بالسامع معرفة المعنى ، وإنما المراد هنا التعريض بالكفار وذمهم ، وهذا ما أفادته (إنما) في هذا السياق ويقول فيها عبد القاهر الجرجاني [١] (ثم اعلم إنك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون أعلق بالقلب، إذا كان لايراد بالكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه).

(وإنما في مقام التعريض وسيلة مؤدية مؤثرة معاً، فضلاً عن إيجازها، أما أنها مؤدية فلأنها تصل الى الغرض من غير أن تذكر الطرف المقابل، ومؤثرة من ناحية أنك توحي بأن ترك التصريح بما يخالف ما أثبته من الوضوح بمكان ، كما أن الاكتفاء بالمثبت يوحي أحياناً بأنه لا يليق أن يوازن بين ما أثبت وما نفي)[٢] .

قال تعالى :**﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً*يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾**(مريم:٢٧- ٢٨)

لقد فوجئ بني إسرائيل حينما أتت سيدتنا مريم تحمل عيسى عليه السلام وهو حديث الولادة ، فأستغرب القوم مما رآوا وفهموا أنه أبنها فظنوا بها السوء (الزنا) ولأنهم يعرفونها ويعرفون أصل منبتها الطيب تنافى عندهم الأمر . فوقعوا حيارى بين ما يرون من حقيقة ظاهرة أمام أعينهم وبين ما يعرفونه عنها وعن والديها فلم يستطيعوا البوح بكلمة الزنا وإنما عدلوا إلى التعريض بذلك بقولهم : يا أخت هارون : وهو رجل معروف بصلاحه في بني إسرائيل ، فقرنوا صلاحها بصلاحه، وأردفوا كلامهم في ذكر والديها واحسانهما وحسن أخلاقهما حتى قالوا {وما كانت أمك بغيا} أي زانية .

فهو تعجب يشوبه الانكار مما تصوروا فإذا كان المنبت طيباً فالنبت أيضاً طيب . فما أصل هذا الطفل . فلذلك عجزت ألسنتهم عن توجيه تهمة الزنا إلى هذه الشخصية النقية المعروفة بطهارتها وزكاتها فعدلوا إلى أسلوب التعريض ليمكنهم من

---

[١] دلائل الإعجاز : ٢٥٦ .

[٢] من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي : ١٦٠ .

تمرير أفكارهم والتعبير عما يختلجهم من مشاعر وآراء دفعتهم إلى تصور فعل الزنا .

– إن هذا النص محكي ، وفعل القول فيه يمنح الخطاب اللغوي حيوية بالغة فجملة النداء الدالة على التعجب تدخل في مجالها اللغوي ، فيتضح أن ما يؤديه النداء هو تصعيد قوة أداء الجملة . وتغير الاسلوب من النداء إلى النفي إلى التعجب الضمني فيه إثارة للشعور وتحريك النفس ، فيعمل على تجديد نشاط السامع ، ويدفعه إلى تخيل وتمثل الخطاب اللغوي في لحظتهِ إنذاك . أي يعمل على تصوير المشهد في نفوسنا كأننا نراه معهم فكأننا كنا حاضرين ومثال ذلك هذا الأسلوب (التعجب الانكاري) قول قوم سيدنا شعيب لنبيهم شعيب عليه السلام **﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ*قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** (هود:٨٦– ٨٧) .

– فبعد أن نهاهم عما ينافي الأخلاق ، وحذرهم من عذاب الله لسوء أفعالهم، تهكموا كلامه وأستهزؤا به بأسلوب التعريض فقالوا **﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** .

– فأرادوا بالاستفهام معنى الانكار والاستهزاء والتهكم به . ثم عرضوّا بأفكاره وكلامه حينما أتبعوا كلامهم بقوله {انك لأنت الحليم الرشيد} فهو تعريض بعقلهِ وحلمه ورشدهِ ، أي أنت معروف بالحلم والتدبر فكيف يكون منك هذا ؟! فكأنهم يصورونه ، بعدم الاتزان والإختلال العقلي لما أمرهم من طاعة الله وتوحيده وحسن المعاملة في البيع والشراء . فلم يستطيعوا أن يتهموه بذاهب العقل صريحاً وذلك لأهميته في قومه وأهمية عشيرته ، فلجأوا إلى التعريض ليمرروا آراءهم فيه ، وهذا ما أفاده التوكيد بـ (أن، واللام، والضمير أنت) بعد الاستفهام .

إن هذا الأسلوب فيه شيئاً من التوسع ، وقد أرتبط بدلالات بلاغية مختلفة والتعجب في مقدمة الدلالات البلاغية التي دلت عليها الآيات . ومن خلال النص

أعـلاه يتبـين إن هـذا الأسـلوب ينطـوي علـى دلالات نفـي عميقـة . لفكرتـه عليه السلام . ويتضـح هذا مـن خـلال التداخل السياقي فـي الاستفهام والتوكيد ، فـأدى إلـى معنـى الانكـار والتعجـب مـن قولـه فصـوروه وعرضـوا بـه وكأنـه هـو الخـاطئ الخـارج عـن الطريق القويم .

– وفـي بـاب مراعـاة مقـام المخاطـب ، مـن خـوف أو حيـاء لنتيجـة الكـلام المصـرح بـه ، يكـون فـي التعـريض مجـال أفسـح للتعبيـر عـن مكنونـات الشـخص (المرسل) المخاطب .

قال تعالى: ﴿ ***قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً*** ﴾ سورة الكهف: ٧٧

هـذه الآيـات تصـور لنـا مشـاهد مـن قصـة سيدنا موسـى عليه السلام والخضـر فـي رحلتهمـا . بدايـة القصـة تقول أن سيدنا موسى طلـب مـن الخضـر عليه السلام أن يصـاحبه ويتبعه كي يحصل على بعض علمه {هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا} فأجابه الخضر عليه السلام بأنك لن {تستطيع معي الصبر وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا} أنكر الخضر عليه السلام على سيدنا موسى مقدرته وتحمله وصبره على أتباعه فهو مكلف منه سبحانه وتعالى بأداء أعمال ألهم سرها الخضر فقط ، ولا قدرة للبشر على معرفة السـبب الحقيقـي وراء ذلـك ، إلا أن موسـى عليه السلام تمثـل بالصـبر والطاعـة فأشـترط الخضـر عليه السلام عدم سؤاله عن أي شـيء حتـى يحدثـه هو بذلك ويخبره ووافق سيدنا موسى على الشرط بغية أتباعه **﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً*فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾** (الكهف:٧٠– ٧١) .

– ويـا للعجـب ممـا رأى سيدنا موسـى فبعـد أن ركبـا السفينة التـي تقلهـم قـام الخضر بخرق السفينة ؟ . فلم يستطيع سيدنا موسى الصبر والسكوت عما رأى ، وقد سبق أن تعهد بالصبر والطاعة لـه . فـأنكر الخضـر عليه السلام سؤاله وذكره بعدم مقدرتـه على الصبر معه ، فأعتذر سيدنا موسى عليه السلام ونسب سؤاله إلى النسيان وتعب الرحلة وإرهاقها .

ويفأجاء موسى عليه السلام بقتل الخضر لغلام صغير ، فأنكر عليه فعله هذا وجاء هذا الانكار في صورة الاستفهام الانكاري فهو في ظاهره استفهام وفي باطنه وفحواه استنكار لفعله وهذا ما يوضحه ما تلاه من قوله {لقد جئت شيئاً نكرا} .

وأجابه الخضر عليه السلام **﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾** خجل موسى عليه السلام من عدم مقدرته على الالتزام بعهده مرتين وخرقهما فلم يجد يدٍ من إقناعه بعدم سؤاله مرة أخرى وهذا أرق له من التأسف والتعذر . إنه الوعد الثالث . {فأنطلقا...} .

وهاهما يستأنفان رحلتهما مباشرة يدلنا على ذلك ، استخدام النص لأداة الوصل (الفاء) والتي تفيد المباشرة كما في المرة الأولى وتبين أن الخضر عليه السلام قبل اقتراح موسى عليه السلام مباشرة كما حصل في المرة الأولى .

– ويصلان قرية ويصور القرآن أهل هذه القرية بشحهم وبخلهم فلم يكرموا الضيف ولم يقروه . وهما مسافران غريبان لا أحد لهما في هذه القرية . والفعل (أبَواْ) يصور ثبات هذه الصفة عندهم بشدة ، فلم يعرض النص فقر القرية أو قلة خيراتها وإنما عرض شخصية أهل القرية بقوله {استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما} . لقد أفاد سياق الآية والعبارة (أبوا) قساوة قلوب أهل هذه القرية وخلوها من الرحمة فحتى الغريب الذي هو في موقف ضعف لم ترق له قلوبهم ، بل واجهوا ضعف الغريب بالإباء ، لقد صَمَمَ جميع أهل القرية على الرفض بعد أن طلبا الضيافة وكلمة (استطعما) تدلنا أنهما طلبا القليل من الطعام بعد أن رأوا عدم المبادرة من جهة أهل القرية ، فصدموا بالرفض القاسي الخالي من المرونة واللين. لقد صور القرآن تعبهما فهما متعبانان جائعان . بالإضافة لتصوير النص التعب النفسي من جراء طلب الاستطعام ، إن زيادة المبنى في الفعل (طعم) أدت إلى زيادة معنى الفعل [1] وثقله على أنفسهما . فإذا بهذهِ العبارة تواجه بعبارة شديدة القساوة (فأبوا) لقد أفاد حرف

---

[1] ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي: ١٧٣، حيث يقول : (ولاشك أن للزيادة مقاماة تستمد قوامها من مناسباتها بحيث تصادق موقفها المحدود)

الوصل (ف) التعقيب المباشر والسريع على كلامهما بالرفض بدون حتى التمهل والتفكر والتروي فرسمت لنا العبارة والسياق شدة لئم أهل هذه القرية وقساوتهم .

إن المتلقي للنص القرآني يستعين بالسياق (ليس فقط في تحديد معنى الوحدات ، بل في تحديد معنى الكلمة أيضاً الذي يفضي إلى بيان دلالات الجمل وهنالك عناصر مثل المرجعية والاستبدال والحذف والعطف والتماسك المعجمي . وهي علاقات دلالية تُسهم في تحديد النص كما السياق) [١] .

وبعد أن رسم النص القرآني بريشته حالة سيدنا موسى عليه السلام والخضر بعدما أنتابهما من تعب بدني ونفسي . فإذا بالخضر أمام جدار قديم متهري متصدع حاله كحالهما (يريد أن ينقض) لقد صور النص القرآني هذا الجدار بأبدع أسلوب لقد أضفى عليه أسلوب التشخيص خصائص البشر وملامحهم . فالتشخيص من أساليب التصوير ويتمثل : (في خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية.. والإنفعالات الوجدانية ، هذه الحياة التي ترتقي فتصبح حياة إنسانية ، تشمل المواد والظواهر والانفعالات وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية ، وخلجات إنسانية) [٢] .

– وهذا الفن كثير الورود في القرآن الكريم فيما يعرضه من صور ، يبلغ به من الجمال مستوى رفيعاً ، بما يبثه من الحياة في الأشياء فتستنفض شخوصاً تأخذ من الأحياء وتعطي وتتجاوب معهم [٣] .

– ومما يلاحظ أن التشخيص على علاقة قوية مع الصورة الاستعارية في القرآن الكريم فكأن الاستعارة ترفده بمزيد من الحيوية . لقد استعار النص لهذا الجدار صفة من صفات البشر ألا وهي الإرادة مع أنه جماد لا إرادة له ولا إحساس وحذف البشر ، فكانت هذه الاستعارة المكنية من ألطف ألوان الاستعارة وأدقها . فكأننا نرى

---

[١] استقبال النص عند العرب ، محمد رضا مبارك : ٦٥ .

[٢] التصوير الفني ، سيد قطب : ٦٣ .

[٣] ينظر: مشاهد القيامة في القرآن الكريم ، سيد قطب : ٩٦ .

الجدار على صورة رجل متعب لا تكاد تحمله قدماه ولا مفاصله ، يريد أن ينقض ويخر على وجهه إذ لا يستطيع الصمود والوقوف منتصب القامة .

أي أحاسيس أثارت فينا هذه العبارة أي صورة رسمتها لنا ، ما أشد ما أحسننا به من تعب وخور لقوة هذا الجدار ، لكأننا نتمنى أن يسقط ويفقد وعيه ليتخلص من تعبه وإرهاقه .

كأن هذه الصورة (صورة الجدار المتهري) معادل موضوعي لصورة سيدنا موسى عليه السلام والخضر !! يا ترى هل وصلا لحالة هذا الجدار المسكين .

– عجباً لأهل القرية ألم يحسوا بما أحسسنا به تجاه هذا الجدار ؟ ألم ترق قلوبهم له ؛ كيف ترق قلوبهم لهذا الجدار وقد وصفهم النص القرآني بالقساوة الحادة . إن السياق ليتظافر في رسم شدة قساوة قلوب أهل هذه القرية .

– لقد بث (المرسل) النص القرآني رموز وشفرات لنتلقاها بغية الانفعال والتفاعل بين متلقي النص والنص [1] . فإذا بنا قد تكونت عندنا حصيلة من الرموز التي حللنا شفراتها فغدت صورٍ لمعنيٍ هو أن أهل هذه القرية لئام واشحةٍ، لا ترق قلوبهم ، بل وكأنهم بلا قلوب . لقد أتعبتنا رحلة موسى عليه السلام والخضر ، وأتعبنا جدارهما . ولنعود إلى موضوعنا الأساس التعريض ونقف على شاهدهِ ونحللّه ونبين مناسبته للموقف .

– وصلنا لمشهد يبين لنا شدة تعب وإرهاق الرجلين البدني والنفسي . وإذا بالخضر عليه السلام يقوم ببناء الجدار وإقامته ، فماذا ننتظر من سيدنا موسى وهو يساعده في هذا العمل بعد كل اصابهما ؟ هناك سؤال مكبوت وكامن في أعماق موسى عليه السلام يلح عليه ويحاول أن يطفو على شفتيه وموسى كان قد وَعَدَ الخضر بعدم سؤاله مرة ثالثة وإلا افترقنا .

---

[1] في نظرية التلقي: التفاعل بين النص والقارئ، ايرز: بحث مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية ع٧ ، ١٩٩٢، م٢ .

– هذا الصراع النفسي بين الخوف من الفرقة والحياء من مقام الخضر فقد أثقل عليه بالأسئلة وبين إنكاره لإقامة الجدار لهذه القرية بعدما عاملاهما بهذه المعاملة السمجة ؛ فأستكثر هذا العمل لهذه القرية لأنها غير أهل له ولا يثمر فيها، خصوصاً وهما تحت وطأتي الجوع والتعب فكيف ينقل له أحساسه وفكرته تلك مع هذا الصراع ؟! فتوصل إلى أن يعرض بما يلح عليه في خوالجه ولا يصرح به خوفاً من الفرقة وفي الوقت نفسه يكون قد نفس عما في داخلهِ من مشاعر تغلي وتجوش تجاه هذا العمل ، الذي هو في غير أهله فقال : {لو شئت لاتخذت عليه أجرا} لقد أستخدم الأداة (لو) مع الفعل (شئت) وأفاد معنى التخير ولم يصرح له برأيه في هذا الأمر .

إلا أن سيدنا الخضر قد فهم من تعريضه بكلامهِ معنى السؤال لم فعلت هذا، لِم لَمْ تتخذ عليه أجراً .

– وعده سؤال من موسى وعدم مقدرة منه على الصبر والطاعة فجاء الجواب الحاسم **﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾** (الكهف:٧٨) .

– لقد أراد سيدنا موسى عليه السلام عدم التصريح بكلامه والمواراة عنه باستخدامه لأسلوب التعريض . فالتعريض كالتورية لأن كلاً منهما يراد به غير مقتضى الظاهر [١] .

– وما دُمنا في باب مرعاة مقام المخاطب في عملية التلقي ، وذكر أن المرسل يلجأ المُرسل إلى التعريض بكلامه وذلك كما قلنا إما حياءٍ من المرسل إليهِ وأما خوفاً منه ، فيجيء المقال مناسباً ومراعياً لمقام المخاطب . فلكل مقام مقال . ومنه قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾** (القصص:٢٣) .

---

[١] ينظر: الملاحن ، ابن دريد : ٦٧ .

– إن هذه الآيات المباركات تقص علينا قصة سيدنا موسى عليه السلام بعد أن خرج من مصر وقد قتل إنسان هناك . ففر مذعوراً من ذنبه خائفاً يترقب من حوله . حتى وَصل ماء مدين فوجد عليه جمعٌ غفير من الناس تسقي ، ولفت نظره أنه هناك امرأتان تريدان الاستسقاء وتتردان في ذلك فكأنما يقدمان قدم ويؤخران الأخرى . وهذا ما يعبر عنه قوله تعالى (تذودان) فسئلهما عن حالهما ، فأخبرتاه أنهما لا تستطيعا مزاحمة الرجال في السقي ، وبينتا سبب مجيئهما لوحديهما أن والدهما رجل كبير فهو لا يقدر على هذا التعب .

أثارت هذه العبارات المرؤة عند سيدنا موسى فهما ضعيفتان وكذلك والدهما فقرر السقي لهما ، إن هذه أفعال الكرام بالرغم مما أنتابه في سفره هذا من جهد وتعب وخوف إلا أنه بادر بالمساعدة ، قبل أن تطلب منه وبلا أجر هنا نقف ونتذكر قصة رحلته السابقة ، والتي أيضاً أنتابه الجهد والتعب والجوع ، وأضطر إلى سؤال الخضر عليه السلام السؤال الذي فرق بينهما ، حينما أستكثر على أهل هذه القرية عمل صنيع الخير معهم بدون أجر ، ولم يطلب من الفتاتان في هذه القصة أجر .

– ففي القصة الأولى لم يكن معهما ما يسد جوعهما ويكفي حاجتهما بالإضافة إلى غلاظة أصحاب هذه القرية وسوء خلقهم كما رأينا . بالرغم من كونه في هذا الطور نبياً مرسلاً .

أما في القصة الثانية فقد برزت شخصيته من شهامة ومروءة وحبه لفعل الخير ومد يد المساعدة ؛ لأن الموقف أقتضى ذلك . فيجب على القوي مساعدة الضعيف .

– وحينما عادت الفتاتان لوالدهما قصتا عليه ما رأتاه من شهامة ونبل وعفة هذا الرجل ، فأراد الوالد شكر صنيعه فبعث إليه بإحدى أبنتيه ووصف القرآن حشمتهما بقوله {فجاءته تمشي على استحياء} فدعته إلى والدها .

– وهناك سمعت العائلة من سيدنا موسى قصته ، وطمنه الوالد وأذهب خوفه وفزعه بقوله {لا تخف نجوت من القوم الظالمين} .

– هناك وبعد أن سمعت أحد الفتاتين تعليق والدها بأنه قد نجا من قومه الظالمين ، فهمت رضاء والدها عن شخص سيدنا موسى ، بالإضافة إلى خلفيتهما السابقة عنه من أنه شخص قوي وكريم تتجسد فيه الشهامة والمروءة بالإضافة لكل ذلك فقد لاحظت الفتاة عفت هذا الرجل وأمانته عندما صحبته معها إلى البيت . إنه لرجل نبيل تكتمل فيه كل المواصفات فقد سبق أن قص قصصه على والدها الرجل الحكيم وقد زكاه هذا الرجل بحكمته وذكاءه في استنباط الحقائق ، فأمنه وثبته ولكن كيف توصل هذه الفتاة فكرتها لوالدها وقد وصفها النص القرآني بشدة الحياء. فلا بد من استخدامها لأسلوب التعريض لتنفذ برايها . فنادت والدها وأقترحت عليه بشدة فكرة بقاءه عندهم بقولها {استجره} وعزت ذلك إلى سببين بينهما النص هما (القوة والأمانة) . لقد بثت برسالتها إلى والدها الحكيم . وراعت أن تكون الرسالة معززة بأدوات فك الشفرة والرموز عند الوالد وهو رجل ذكي وحكيم .

– لقد راعت في بثها للرسالة حالة المتلقي الاجتماعية والثقافية فراعت المقام . وفي ذلك نوع من التوازن في التعبير فالعبارات ذات الشحنات الإيحائية تعمل وتؤثر في دواخل المتلقي فتميله حسب الأفكار التي نظمتها .

– وبالإضافة إلى ذلك نقول أن لنوع الصوت والنبرة دور في كيفية التلقي. فيمكن أن يأتي فعل الأمر صادر من جهة دنيا إلى عليا ولكنه يتميز بالأمان والثقة والنصح والرشاد ، فيستجيب له المتلقي وبكل مرونة . وهذا لما للصوت من أثر في المشاعر والمخيلة وبالتالي في الأفكار .

– إن إدراك المتلقي لسياق النص الاجتماعي واللغوي . يساعد على فهم وتحليل النص وفك شفراته ورموزه ، وفي ذلك نتبين الدلالة السياقية والمعنوية بين مرسل النص والنص والمتلقي .

– لقد فهم (المرسل اليه) النص الملقى إليه . فأتبعه بكلامه لموسى عليه **﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** (القصص:٢٧) .

قال تعالى : ﴿**مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ**﴾ (هود: ٢٧) هذا نص قاله المشركين لسيدنا نوح عليه السلام . حينما دعاهم إلى نبذ الأصنام وعبادة الإله الواحد الأحد . فقال لهم ﴿**إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ*أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾ (هود:٢٥- ٢٦) .

النص يصور خوف سيدنا نوح على قومه ؛ فهو ينصحهم بعدم الإشراك بالله . فلا ينصاعون لكلامه ، لأنهم يرونهم بشراً عادياً وليس بملك وبالإضافة لذلك فهو ليس من أسياد القوم وأثرياءهم . إذن فلا أحقية له بأن يكون رسول رب العالمين ، فلم لم تأتي الرسالة لأحد الزعماء الأثرياء منهم وأختصت به هو وبالإضافة إلى ذلك فإن أغلب اتباعه هم من الفقراء والبسطاء الذين لا سيادة ولا زعماة لديهم . ﴿**مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾ (هود :٢٧) .

– إنهم يعرضون بأحقيته بدليل قولهم {ما نراك إلا بشراً مثلنا} وقولهم وما نرى لكم علينا من فضل بالرسالة ، فهم يرون أنه من المفروض أن تنزل الرسالة على أسياد القوم فإن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم [١] ويقول فيها الدكتور ناصر حلاوي (أنها تعريض غايته أن ينفوا عنه أية ميزة عليهم وأنه ليس أحق منهم بالنبوة) [٢] .

في هذه الآية تعريض بمشركين قريش وأسيادها فكما قال قوم نوح عليه السلام لنبيهم (لست بأحق منا بالرسالة على فرض صحتها وفي النص تعريض على مستوى آخر بقريش وساداتها الذين قالوا ما يشبه أقوال قوم نوح ... فالرد على هذه الأقوال ردّ على سادات قريش في الحقيقة) [٣] .

– قال تعالى : ﴿**وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ (هود: ٣١) والتعريض هنا في مقام رد

---

[١] ينظر: المثل السائر : ٣٩٠ .

[٢] البلاغة العربية – البيان والبديع، ناصر حلاوي : ١٢٠ .

[٣] دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية ، سليمان الطراونة : ١٤٤ .

شبهات القوم . ففي امتناعه عن حط منزلة أتباعه المساكين والفقراء تنزيه لنفسه أن يكون من الظالمين ، وتعريض بالكفار بأنهم هم الظالمون في ازدرائهم وانتقاصهم من قيمة الفقراء المؤمنين بالله ، أفاد التعريض في هذا الموقف تجنب مواجهة القوم بما يكرهون مع تسجيل ذلك عليهم بطريق التعريض [1] . ولنأخذ قول سيدنا نوح عليه السلام **﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾** (هود: ٤٥) . بعد أن أمره الله تعالى بصنع السفينة أمره بأن ينقل بها أهله ومن المخلوقات زوجاً واحد فالهلاك سيحل في الأرض نتيجة دعوة نبي الله عليهم . وبعد أن استجاب الله له وفتح أبواب السماء بماء منهمر وبدأ منسوب المياه بالصعود بطريقة مخيفة لم يسبق لهم أن عهدوها . طلب سيدنا نوح من أبنه الصعود إلى السفينة إلا أنه أبى الصعود وظن أن اللجوء إلى الجبل عاصم له من الغرق ولم يعلم بأنه لا عاصم من أمر الله فقد قضي الأمر قال تعالى **﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾** (هود: ٤٢) .وهذا ما أخبره إياه سيدنا نوح عليه السلام . فسيدنا نوح عليه السلام يعلم بأن أبنه غير مؤمن بالله ، ولكن عاطفة الأبوة جعلته يتمنى أن يشمله حكم (الاهل) ، لقد صور لفظ النداء والنصيحة مشهداً حزيناً يقطر أسىٍ ، فقلب هذا الأب مشغول ملهوف على أبنه كما صورته ألفاظ هذه الآية فإن للألفاظ حركة عمل صوتية ، فإن لكل حرف معنى خاص به ، وأنه إن لم يكن كذلك فهو يشير إلى دلالته عن طريق الإيحاء في النفس فيثير فينا جواً ملائماً لتلك الدلالة والمعنى الخاص به [2] .

– لقد تصادمت نزعتان قويتان في نفس سيدنا نوح عليه السلام نزعة تدفعه إلى الالتزام بالأمر الإلهي وتطبيقه والإمتثال له . ونزعة عاطفية تشده وتجذبه إلى آخذ أبنه معه لعله يعقل ويهتدي إلى طريق الهداية ومعرفة الإله الحق .

---

[1] خطاب الأنبياء ، عبد الصمد عبد الله : ٢٨١ .

[2] ينظر: النقد الأدبي ، سيد قطب : ٣٩ .

– لقد تحرج سيدنا نوح عليه السلام من مقام ربه ، فلم يستطيع أن يصّرح بتذكير رب العالمين بوعده نجاة الأهل ، فمال إلى التعريض بكلامه دون التصريح مراعاة للمقام وتحرجاً حياءاً منه تعالى : فقال ﴿**رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**﴾ (هود: ٤٥) لقد جاء كلامه بصوت خفي مبحوح يملؤه الحزن والأسى فكأنه يتلكأ في الكلام ، يريد أن يصرح عما في داخله من عواطف ومشاعر تدفع به إلى التوسل إلى الله ، وحرجه من ذلك الكلام مع رب العالمين .

– لقد أقتصر كلامه على هذه الجمل الثلاثة ، وهي في مقام الدعاء تعريضاً بالمطلوب فهو لم يذكره ، وهو من ضروب التأدب والتردد في الإقدام على المسؤول استغناء بعلم المسؤول كأنه يقول أسألك أم أترك [١] . ثم ردَّ الأمر إلى حكمته تعالى فأنهى كلامه بقوله {وأنت أحكم الحاكمين} لقد عاد ففوض أمره لله تعالى .

– وهنا يجيء الرد من الله تعالى صريحاً مباشراً بقوله :﴿**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ (هود:٤٦) .

ومن التعريض قول سيدنا نوح في سورة نوح قال تعالى :﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً**﴾ (نوح:٧) .

في الآية الكريمة تعريض بحمقهم وتعجب من خلقهم إذ يعرضون عن الدعوة مع ما فيها من فائدة ومنفعة لهم ، فكان مقتضى المنطق والعقل أن يسمعوها أولاً ويتدبروها[٢] . ثم يتصرفوا بعد ذلك حسب النتيجة التي خرجوا بها.

– وفي مقام الخوف من الجهة العليا المرسل إليها النص ، يكون التعريض منفذاً للخلاص من الخوف ودفعاً للحرج ، فإذا خاف المتكلم (المُرسل) من المرسل إليه (المخاطب) لما في تصريحه من لهجة قوية مال إلى لحن القول وهو كما قلنا

---

[١] ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ١/١٠.

[٢] ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٩٦/٢٩.

سابقاً التعريض وإذا أحسن استخدامه نجا من مخاوفهِ ، ولنأخذ مثال على ذلك في سورة النمل حينما توعد سيدنا سليمان الهدهد لتخلفه عن الحضور بين يدي سيدنا سليمان عليه السلام .

قال تعالى : **﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ*لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ*فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ*إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ*وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ*أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾** (النمل:٢٠- ٢٥) .

لقد أعطى الله لسيدنا سليمان عليه السلام النبوة والملك ، فكان نبياً ملكاً ، وأي ملك إنه لملك عظيم فجيشه مكون من أجناس عديدة من البشر والجن والحيوانات وحتى الطيور الضعيفة لها دور في جيش سيدنا سليمان . وهذا التعدد في المخلوقات يتطلب منه عليه السلام معرفة لغاتهم وطبيعة حياتهم . وإنه من شدة سلطانه وملكه سيطر على الكل ، فجعلهم أداة له ، يعملون في مملكته ، لا يعصون له أمراً .

– وفي إحدى جولاته في جيشه تفقد الطيور ، فلم يجد الهدهد فغضب غضباً شديداً وتوعده بأشد العذاب أو الذبح .. ثم استدرك نفسه فقال : {اوليأتنني بسلطان مبين} ها قد عاد حلم النبي وحكمته إلى روح الملك الجبار [١] .

وحينما عاد الهدهد من جولته ، وعلم بما توعده الملك سليمان من عذاب أو ذبح . عدل بكلامه من التصريح إلى التعريض . فبين أسلوب كلامه إنه كان في جولة استطلاعية ، وإن كان قد غادر موقعه دون إذن الملك . فعرض عن التصريح عن سبب المغادرة إلى سرد قصة ذات مشاهد أضفى عليها الهدهد أسلوب التعجب والتهويل رغبة في دفع المتلقي لمعرفة بقية القصة .

---

[١] ينظر: قصص الحيوان في القرآن الكريم ، أحمد بهجت عمر: ١٢٥ .

إن بلاغة الهدهد وحسن منطقه ومراعاته لمقام المرسل إليه وحسن بثه للرسالة . هيئ عند المتلقي جواً ورغبة في قبول رسالته . وما كان ذلك إلا لأسلوب التعريض الذي غلف رسالته (النص) . فجعلها شيقة وممتعة .

– لقد عرض الهدهد بعلم سيدنا سليمان حينما قال له {وجدت امرأة تملكهم} فكأنه يلوح له ويقول وجدت شيئاً لم تكن تعرفه من قبل يا سليمان الحكيم . فقد عرض بعلمهِ .

– ويعرض مرة ثانية بملكه فيقول {وأُتيت من كل شيء} لقد وصفها بالكمال ، وكأنه أراد المبالغة في ملكها ليشعر سليمان عليه السلام بأن ملكها نداً لملكه .

– وعرض مرة ثالثة بعرشها فقال {ولها عرش عظيم} فهذا يدل على عظمة سلطانها . لقد كان للتعريض أثراً مهماً في خلاص الهدهد من وعيد سليمان عليه السلام له . فكأن الهدهد يعرض بسليمان عليه السلام ويقول له (بأنك لست الملك الوحيد . وهي ليست ملكة عليهم فقط ، وإنما تملكهم وفارق بين الملك والمالك وهي فوق هذا امرأة وليست رجلاً ليشعر سليمان بمن ينافسه على الملك ... فكأن الهدهد يقول لسليمان ما الفرق بينك وبينها) [1] .

– لقد تابع الهدهد كلامه وسرده لقصتهِ ، وأضفى عليها أرآه ومشاعرهُ ، ولم يكتفي بذلك وإنما عرض بسليمان وحثه بطريقة غير مباشرة إلى التوجه لهؤلاء القوم وهدايتهم إلى الله الواحد الأحد الذي يخرج الرزق للخلق . فقال {وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون} .

قال تعالى : **﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾** (لأعراف:١٢٧) . تصور لنا هذه الآية مشهد من مشاهد قصة سيدنا موسى مع فرعون . فبعد أن هزم موسى عليه السلام السحرة وأمن السحرة بالله وسجدوا لله مجاهرة

---

[1] دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية ، سليمان الطراونة : ١٤٦ .

وعلانية في يوم احتفالهم يوم الزينة . وأهتزت صورة فرعون أمام الناس وحاشيته فلم يعد يعلم ما يقول أو يفعل وقد كسب سيدنا موسى المعركة وظل فرعون مصدوماً مبهوراً مبكوتاً مما حصل . وهناك وبعد أن أحس رعية فرعون وحاشيته إنهيار فرعون وأهتزاز صورته ، وسقوط هيبته وربوبيته عن الملاء . بادرت حاشيته وهموا إليه ليستعيد إتزانه وسلطانه وقوته وذكروه ببطشه بعد أن سكت لما قد حصل وتخوفهم من طلب معاقبة موسى وقومه ، فمالوا في أسلوبهم إلى التعريض ليكشفوا عما في دواخلهم من أسئلة ورغبات فجاءت رغباتهم وطلباتهم على هيئة الاستفهام . ولكنه استفهام مجازي خرج لغرض التعريض .

– وبين ذلك في النص قوله (ليفسدوا في الأرض ويذرك...) فأقتران فعل المضارع يفسدوا بـ لام الأمر آفاد معنى الأمر . ولذلك لم يصرحوا بكلامهم وإنما عرضوا به مراعاة لحال المخاطب . والدليل على فهمه لتعريضهم أنه صرح قائلاً {سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون}

– وقد تنبه علماء اللغة لأهمية مراعاة الأحوال والمقامات في خطابهم ، فلا بد من تناسب المقال مع المقام [١] .

– نفهم من ذلك أنه (ليس هناك خطاب آحادي) الجانب موجه إلى ذاته ينمو في انسجام وطمأنينة وإنما لا بد من وجود جانب آخر ، وليكن ذات المرسل نفسه كما نجد في بعض أنواع الخطاب ، وليكن (ذاتا) بالقوة كما نعثر عليه في الأنواع التي ليس متلقيها حاضراً ... ومقتضيات الأحوال هي التي تصنع النص إلى حد بعيد ومن ثمة صار الاهتمام بتداول النص أمراً مهماً) [٢] .

ويأتي التعريض في مواضيع يكون خير منفذاً إليها ، خصوصاً مواضع الحياء ، فيكون الألطف فيها وذلك لإيجازه الموضوع بدلاً من التصريح والمجاهرة به

---

[١] ينظر: تأويل مشكل القرآن : ١٠–١١ .

[٢] دينامية النص ، محمد مفتاح : ٤١–٤٢ .

. مراعاة لمقام المخاطب ومشاعرهِ كقوله تعالى : **﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ*إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾** (صّ:٢١- ٢٢) .

إن داود من أنبياء بني إسرائل وهو أبو سيدنا سليمان وقد عُرف سيدنا داود بجمال صوته ، وكثرة عبادته ، قال ابن عباس (إن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء : يوماً للعبادة ، ويوماً للقضاء ، ويوم للأشتغال بخواص أموره ، ويوما يجمع بني إسرائيل فيعظهم ويبكيهم) [١] (ويأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله ، لا ما سواه من الأهواء ، فكان داود عليه السلام هو المقتدي به في ذلك الزمان في العدل ، وكثرة العبادة ، وأنواع القربات حتى أنه كان لا يمضي ساعة من أناء الليل إلا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهاراً) [٢] كما قال تعالى : **﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾** (سبأ: ١٣) .

إذا كانت هذه صفات نبي الله داود عليه السلام فهو كثير العبادة كثير الترنيم والتمجيد حتى أن الجبال والطير والدواب كانت تستمتع بتسبيحه قال تعالى: **﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ*إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ*وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾**(صّ: ١٧- ١٩).

وقد وصفه القرآن بالقوة في الطاعة {ذا الايد} فقد أعطي قوة في العبادة والعمل الصالح وفقها في القضاء . إذا كانت هذه أوصافه في النصوص القرآنية ، فهي تزكية عما ورد في الإسرائيليات في (نبأ الخصم) ولا نود ذكرها لأنتفاء مصداقيتها مع ما ورد في النصوص القرآنية السابقة . وإنما نقول لا يصح جعل قصة النعاج تعريض بحال سيدنا داوود في النساء حيث أن القرآن الكريم قد زكاه في عدة مواضع . وإنما هذه القصة تعريض بسيدنا داوود في لزم النفس والمشاعر

---

[١] الكشاف : ٦٣/٤ .

[٢] قصص الأنبياء ، ابن كثير : ٤٩٢ .

عند الحكم وتبين الأمر قبل التفكير في الحكم وسمع الطرف الثاني المدعى عليه ، وتنحيه المشاعر عند سماع الدعوى .

– ونورد القصة كاملة . وهي أن نبي الله داوود عليه السلام (جزأ زمانه أربعة أجزاء يوماً للعبادة ، ويوماً للقضاء ، ويوماً للأشتغال بخواص أموره ، ويوماً يجمع بني إسرائيل فيعظهم .. فجاء الخصمان في غير يوم القضاء ففزع منهم ؛ ولأنهم نزلو عليه من فوق ، وفي يوم الاحتجاب ، والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه) [١] . ولذلك فزع منهم {ففزع منهم} .

وأسلوب السرد يوحي بأن الخصمين كانوا من الملائكة حيث أنهم (تصعدوا سوره ونزلوا إليه ، والسور : الحائط المرتفع .. روي أن الله تعالى بعث إليه بملكين في صورة إنسانين ، فطلبا أن يدخلا عليه ، فوجداه في يوم عبادته ، فمنعهما الحرس فتسوّروا عليه المحراب ، فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان)[٢]. بالإضافة إلى أن أسلوب الحوار يوحي بأنهما من الملائكة وليسوا من رعيته {فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط} أي ولا تجر أي ولا تبعد عن الحق ، وهي مجاوزة الحّد وتخّطي الحق) [٣] .

ويقول الزمخشري في هذه القصة : (فإن قلت: لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح ؟ قلت: لكونها أبلغ .. من قبل أن التأمل إذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكناً من قلبه ، وأعظم أثراً فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه وأدعى الى التنبيه على الخطأ فيه من أن يبادره به صريحاً مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة ألا ترى الى الحكماء كيف أوصوا في سياسة الولد إذا وجدت منه هنة منكرة بأن يعرض له بإنكارها عليه ولا يصرح وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله أو مقياساً لشأنه ، فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لما بين الولد والوالد من حجاب الحشمة)[٤] .

---

[١] الكشاف : ٦٣/٤ .

[٢] المصدر نفسه: ٦٣/٤ .

[٣] المصدر نفسه : ٦٣/٤.

[٤] الكشاف : ٢٨٠/٢ .

– في هذه القصة تعريض بالبشر وظلمهم لبعضهم ، وهي إحدى صور الظلم والإنتهاك التي حرمها الله على البشر . لذلك إنفعل نبي الله داوود عليه السلام مما سمع من ظلم وتعدي فجاء جوابه سريعاً وحاسماً ، حتى إنه لم يستمع إلى الطرف الثاني ولم يتأمل في الحكم ؛ وإنما ذلك لشدة ما سمع من ظلم فأسرع بالنطق في الحكم . لقد أستطاع الخصم أن يثير مشاعر وعواطف النبي إليه بطريقة سردِهِ القوية الصارخة فقد (اختارا أن يعرضا عليه القضية في صورة صارخة مثيرة .. ولكن القاضي عليه الايستثار وعليه ألا يتعجل . وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد. قبل أن يمنح الطرف الآخر فرصة للإداء بقوله وحجته ، فقد يتغّير وجه المسألة كله ، أو بعضه ، وينكشف أن ذلك الظاهر كان خادعاً أو كاذباً أو ناقصاً) [1] وبعد أن تكلم النبي ونطق بالحكم ، تبين له حقيقة الأمر إنه فتنة من ربه ، وأن هذه القصة هي تعريض به وبالبشرية في عدم ظلم الإنسان لأخيه ، وفي ضبط النفس وتجنب الانفعال عند القضاء ومما يلاحظ أن الطرفان قد قاما بإرسال رسالة معينة إلى المتلقي وهو سيدنا داوود عليه السلام ، وأن الباث قد شحن رسالته بشحنة من العواطف والإنفعالات القوية والتي حققت وظيفتها في نفس المتلقي وهو سيدنا داوود عليه السلام . لأنه فهمها فتأثر بها فتجاوب معها .

ويرى د. محمد خلف الله (إن لكل انفعال هزة نفسانية خاصة به، فمن الطبيعي إذن أن تكون له كذلك صورة خاصة به من التعبير) [2] .

ونلاحظ أن الباث للرسالة يختار ما يتلاءم مع مقام المخاطب ومقتضى الحال ، وإذا ما أحسن الباث سياق رسالته ورعاها وطابقها لمقتضى الحال فإنه سيحقق النتيجة المرجوة في نفس المتلقي .

إن أهمية هذه المحاورة كانت لتعليم البشر فضاعة ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وأيضاً لتدعيم منهج العدالة في الحكم والتأني في إصداره ، فالخطاب

---

[1] في ظلال القرآن ، سيد قطب ٩٧/٧ .

[2] من الوجهة النفسية لدراسة الأدب ونقده ، محمد خلف الله : ١١٠ .

القرآني خطاب هادف يرمي الى تعديل فكرة المخاطب وسلوكه ، ويعود عليه بالمنفعة الدنيوية والأخروية ، وأن الإنسان يتأسس في ضوء القرآن شرعاً وقانوناً ليكون في وجوده صورة لوجود الشريعة ، فهو الخليفة في الأرض ، ويكون خطاب القرآن له ، وحينئذ يتخلق الخطاب القرآني في الإنسان عقيدة وعبادة سياسة واقتصاد سلوكاً واجتماعاً اخلاقاً وتعاملاً أي أن المخاطب يتأسس في ضوء القرآن بنية ويقيم علاقات مع محيطه تعد في حدوثها من نتاج النص ، ويعد المتلقي في ضوء هذه الرؤية شرط النص في بلوغه تمام الدلالة وشرط النص في حصوله كما أن النص في هذا المنظور يعد شرطاً أساسياً في تمام الكينونة للكائن. ونستطيع أن نطبق كلامنا السابق على قوله تعالى : ﴿ ***إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْراباً * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ***﴾ (سورة الواقعة:٣٥-٣٨)، (فأراد ﷻ بذكر العُرُب التعريض بنساء الدنيا اللواتي لا يتحببن الى أزواجهن، والتعريض هو عكس التصريح... فهذا تعريض بنساء الدنيا اللواتي يقطبن في وجوه أزواجهن ولا يتوددن باللسان إليهم) [١] .

فالمرأة العروب هي المرأة المتحببة الى زوجها المتوددة إليه ، أن النص القرآني يهدف الى التعريض بنساء الدنيا بصفات نساء الآخرة قصد تعليمهن كيفية معاملة أزواجهن، فالإنسان يتكون ضمن مبادئ النص القرآن ويتخلق به كما قلنا عقيدة وعبادة ، أخلاقاً وتعاملاً ، فالمتلقي يتأسس في ضوء القرآن وبناءاً عليه تتكون أواصر علاقاته بمحيطه الاجتماعي .

---

[١] قبسات لغوية في تفسير القرآن وتأويله ، فاخر جبر مطر: ٧٢، مجلة والقلم، ع١٢، ٢٠٠٨م.

الخاتمة

بعد هذه الجولة الممتعة في رحاب القصة القرآنية نصل الى نهاية المطاف فنقول أن فن التعريض من أبواب البلاغة والأدب والبيان ولا نجده إلا في الآداب الراقية والقرآن والحديث النبوي والشعر الأصيل ، وهو ينبئ عن ذكاء وفطنة وذوق ، وإن التعريض يعطي مساحة من المرونة في الإصابة بهدفه من دون جرح للمشاعر ويعطي مرونة في التهكم من الطرف المقابل وبيان مدى سذاجته مع إلزامه الحجة على ألطف وجه .

وبعد أن تناول البحث موضوع التعريض ، بالدراسة والاستقصاء داخل النص القرآني ، وركز البحث في دراسته واستقصاءهِ على القصة القصة القرآنية فرصد ما فيها من التعريض وبين السمات الدلالية والجمالية التي أضفاها هذا الفن في كل نص ، فهو لون من ألوان البلاغة ومظهر من مظاهر التعبير اللغوي، وفن من فنون الأدب .

وقف البحث على تنوعات أسلوبية شكلها الأسلوب القرآني لموضوع التعريض تبدأ من الدلالة اللفظية إلى الدلالة المعنوية والحسية والسياقية ، والدلالة التركيبية والأسلوبية . ثم الصور المتشكلة . والتي تباينت بين صور حسّية تعتمد الحس في معرفتها . أو خيالية مشخصة ، تآزر في تشكيلها الحركة والصمت ، أي ما يمكن أن نسميه (أدبية التعبير)

– خرج البحث بخلاصة قيمة وقع فيها علماء البلاغة ألا وهي أن فن التعريض متداخل في كل الأساليب وفي كل فروع علم البلاغة فهو لا يقتصر على الحقيقة فقط ، ولا على المجاز ولا على الكناية ، وإنما نستطيع تحديده أما من خلال اللفظة أو السياق فهو فن متداخل ببقية الفنون والأساليب، يضفي أثراً بارزاً في التراكيب وذلك لدقة فهمه فهو شبه مقصور على المرسل إليه (المتلقي) فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم ، لا بالوضع الحقيقي والمجازي .

– وهذا تعريف ابن الأثير الذي فرق بين التعريض والكناية فالكناية دلالتها لفظية مجازية . أما التعريض فدلالته من جهة المفهوم ، لا بالوضع الحقيقي والمجازي ومن كلام ابن الأثير تبين أهمية السياق في كشف معاني التعريض .

– لقد بين البحث أن فن التعريض فن دقيق المسالك لا يفهمه إلا الفطن العالم باللغة ، وبالإضافة إلى ذلك بين أن ذكاء المخاطب هو محور عملية التلقي أو التوصيل . فهو الأساس الذي تتم من أجله عملية الإرسال . ولذلك وجب مراعاة مقام المخاطب وحالهُ وملاحظة العوامل الاجتماعية .

– بين البحث أهمية القرائن السياقية في تراكيب نصوص التعريض في الآي القرآني . إذ تتحول القرائن إلى أنساق تصويرية دالة مفعمة بالإيحاء .

مصادر البحث ومراجعه

- **القرآن الكريم .**

١. الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، مصطفى ديب البوغا ، دار ابن الأثير، ط٥، ٢٠٠٢.

٢. استقبال النص عند العرب ، محمد رضا مبارك ، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط١، ١٩٦٦ .

٣. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية، ط١، ١٩٨٤.

٤. أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة، محمد حسين علي الصغير، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر، ط١، ١٩٦٠.

٥. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط٤، ١٩٧٥.

٦. البلاغة التطبيقية– دراسة تحليلية لعلم البيان، محمد رمضان الجربي، منشورات جامعة ناصر، ١٩٩٧ .

٧. البلاغة والتطبيق ، أحمد مطلوب وكامل حسن البصير، مط المجمع العلمي العراقي، ط١، ١٩٨٢.

٨. البديع ، عبد الله بن المعتز، تح: اغناطيوس كراتشوفسكي، مكتبة المتنبي ، بغداد، د. ت .

٩. البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكامل حسن البصير، مط المجمع العلمي العراقي، ط١، ١٩٨٢.

١٠. بيان إعجاز القرآن للخطابي ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تح: محمد أحمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف ، مصر، د. ت .

١١. البيان والتبيين، الجاحظ، تح: حسن السندوجي، مط المكتبة التجارية ، د.ت.

١٢. تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، شرح: أحمد صقر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣.

١٣. التعبير البياني ، رؤية نقدية ، شفيع السيد، مكتبة الشباب ، القاهرة، ١٩٧٧.

١٤. التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، د. م. ط، ١٩٦٦ .
١٥. تفسير أبو السعود : إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، د. ت .
١٦. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤.
١٧. التفسير الكبير ، أبو بكر الرازي، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥.
١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤.
١٩. خطاب الأنبياء،عبد الصمد عبد الله محمد،مكتبة الزهراء،القاهرة،د.ط،د. ت.
٢٠. دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية ، سليمان الطراونة، ط١، ١٩٩٠ .
٢١. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمد عبده محمود الشنقيطي ، القاهرة، ١٩٦١.
٢٢. دينامية النص (تنظير وإيجاز) محمد مفتاح ، المركز االثقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٠.
٢٣. ديوان أبو الطيب المتنبي ، شرح أبو البقاء العكبري، ضبط : كمال طالب، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط١، ١٩٧٧ .
٢٤. الرؤية البيانية عند الجاحظ ، إدريس بن مليح ، د. ط، ١٩٨٤ .
٢٥. علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع، مختار عطية ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤ .
٢٦. العمدة في الشعر وآدابه ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مط حجازي، القاهرة، ط١، ١٩٤٣.
٢٧. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (دراسات تطبيقية على السور المكية) صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠ .
٢٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري، تح: إبراهيم عطوان، مصر، ١٩٦٢.
٢٩. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي، ط٥ ، ١٩٦٧ .

٣٠. في نظرية التلقي، التفاعل بين النص والقارئ، آيرز ، بحث مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية: ١٩٩٢/٧/٤، م٢ .
٣١. قصص الأنبياء ، ابن كثير، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، د. ط ، د. ت
٣٢. قصص الحيوان في القرآن الكريم ، أحمد بهجة عمر، مط المختار الإسلامي، ط٢، ١٩٧٨ .
٣٣. القاموس المحيط،مجد الدين الفيروز آبادي، المطبعة المصرية، ط٣، ١٩٣٣.
٣٤. الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، تعليق : أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، دار النهضة، مصر، ١٩٣٧ .
٣٥. كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري، علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب ، ط١، ١٩٥٢.
٣٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود الزمخشري، دار الفكر، بيروت .
٣٧. مجاز القرآن ، أبو عبيدة، تح: محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨١ .
٣٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٦٠.
٣٩. مشاهد القيامة في القرآن الكريم، سيد قطب، دار المعارف ، ط٥، ١٩٨٦.
٤٠. مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكاكي، تح: أكرم عثمان يوسف، مط الرسالة، بغداد، ١٩٨٢.
٤١. مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني، تح: نذير مرعشلي ، دار الفكر، بيروت ، د. ت .
٤٢. منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف ، سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية ، ١٩٥٩.
٤٣. النقد الأدبي ، سيد قطب ، دار المعارف ، مصر، ط٥، ١٩٨٦.